الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 –سكيكدة–

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة متمّمة لنيل شهادة الماستر

التخصّص: لسانيات عربية

جهود الرُّماني في الدّرس البلاغي

– النّكت في إعجاز القرآن 'أنموذجا'-

إعداد الطالبتين:
- آمنة بورنان
- فاطمة الزهراء خمخوم

تحت إشراف:
د. مصطفى بوبعيو

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
جيهان بلمولود	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
مصطفى بوبعيو	أستاذ محاضر –ب–	مشرفا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
كريمة لغريب	أستاذ مساعد –أ–	عضوا ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

السنة الجامعية: 2023/2022

إهـداء

أبتدئ بشكر المولى عزّ جل الذي رزقني العقل وحسن التوكّل عليه سبحانه وتعالى

إلى اللّذين قال فيهما الله، "وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحسانا" الإسراء-23-

إلى أمي الحبيبة رمز العطاء الذي يفيض بلا حدود ورمز يُجسد الكفاح والخلود، أجمل وأطيب قلب، قرة عيني، يا من علمتني أبجدية الحروف، وعلمتني الصمود، أحفظ لك كلمات ملؤها الشكر والعرفان، كلمات تتردّد على كلّ لسان "حبيبة قلبي"

إلى حبيبي أبي رمز الصبر والحب والعطاء

إلى زوجي "فؤاد" الذي وقف معي من جميع الجوانب النفسية والمادية

إلى حماتي الحبيبة بدعمها لي

إلى إخوتي: علي، يحي، دلال، سلمى

إلى أخوات زوجي

إلى كل من قلب صفحات هذه المذكرة

الطالبة: فاطمة الزهراء خمخوم

إهداء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "مَنْ لَمْ يشكر النّاسَ لَمْ يشكر الله، ومنْ أهدى لَكُمْ معروفًا فكافئوه فإنْ لَمْ تستطيعوا فادعوا له"

وعملاً بهذا الحديث واعترافًا بالجميل، نحمدُ الله عزّ وجلَّ على أنْ وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع والذي أهديه إلى

من وضع المولى الجنّة تحت قدميها

أمّي العزيزة

إلى خالد الذّكر الذي وافته المنيّة منذ سنين

أبي العزيز

إلى إخوتي وأخواتي عزّ عليّ ذكرهم

إلى كلّ من أعتمد عليه في كلّ صغيرة وكبيرة

إلى أستاذي المحترم بوبعيو مصطفى

سائلةً من العليّ التوفيق والسّداد في المستقبل

الطالبة: بورنان آمنة

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وتتنزّل البركات، وبفضله تتحقق الغايات، والصلاة على نبيّنا ورسولنا محمد صلّى الله عليه وسلّم. أفضل خلق الله أما بعد:

أتقدّم بجزيل الشكر إلى كلّ من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى عبارات العلم

وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف المحترم الذي يعتبر نموذجا يُقتدى به –مصطفى بوبعيو– الذي بدأ معنا مشوار الإشراف ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيّمة التي كانت عَوْنًا في إنجاز هذا البحث

ونتقدّم بالشكر الجزيل إلى أهلنا وأساتذتنا الذين أعانونا في إنجاز البحث

وشكر خاص وخالص لعضوي لجنة المناقشة الدكتورة جيهان بلمولود، كريمة لغريب لقراءتهما هذا البحث المتواضع، وتحملهما عناء الوقوف على النّقائص الواردة فيه.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده كتابًا كريمًا غير ذي عوج والصّلاة والسلام على خير خلْقه أجمعين محمد وعلى آله الطيّبين وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

لمْ يكنْ فضل القرآن العظيم على الثقافة الإنسانية منحصرًا في كونه مفتاح المعرفة، التي بها يُسلم الاعتقاد ويستريح الضمير، ومنهاج السلوك الذي به ترتقي القيم الإنسانية وتستقيم الحياة، بلْ إنّ فضله على الثقافة الإنسانية عمومًا وعلى الثقافة العربية خصوصًا تعدّى ذلك ليشمل حقولا معرفية كثيرة كان هو منهاجها من حيث كوْن الانطلاق منه، والانشغال به والدوران حوله، قراءة وتذوقًا وفهمًا وتدبُّرا وشرحًا وتفسيرًا، كان سببًا في نشوء ونُضج علوم كثيرة، لها أثر كبير في الرقي بمستوى الإدراك والإحساس، وفي توجيه الثقافة الإنسانية إلى حيث يتعانق الحق والخير والجمال، ومن هذه العلوم البلاغة.

تُعدُّ البلاغة صناعة العرب الأولى قبل أن تكون لهم أيّ صناعة أخرى ومهارتهم الكُبرى، فقد كان الشعر فيهم شَاغِلَهم بسحره قبل أنْ ينزل فيهم كتاب الله فيبهرهم ببلاغته المعجزة، وقد كانوا أهلاً لشرفِ أن يتحدّاهم هذا الكتاب المعجز بما امتلكوا من صفاء القريحة ونقاء الذّوق وفيض البيان، وقد صار المعجز الشعري والمعجز القرآني كلاهما محلَّ تذوّق وتلذذ من جهة ومدار انشغال وتأمُّل وبحث من جهة ثانية، إذْ انتقل العرب بتأثير النشاط العقلي الذي حرّكه الإسلام إلى تعليل الظّواهر وتأسيس العلوم، وبدافع استثمار القرآن في إقامة الحضارة وصيانة العربية منْ أن ينزل بها عن شرفها الباذخ إلى طوْر البحث في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وأصول البيان والكشف عن ألوان تأنُّقها في القُرآن خاصة، أين يُطالعنا "الرُّماني" وهو يبحث في سرِّ الإعجاز في كتابه، "النّكت في إعجاز القرآن".

ونظرًا لأهمية موضوع البلاغة ارتأينا أنْ نخصّه بالبحث بُغية دفع الآراء السيّئة الظّالمة في البلاغة العربية وضرب في أرض هذا العلم العريق تنظيرًا وتطبيقًا، فهو مجموعة مقالات في تأصيل البلاغة العربية ببيان أصولها النّظرية في أعمق جُهد

نقدي تأسيسي لعلم البلاغة، وهو جهد علي بن عبد الله أبي الحسن الرُّماني، فجاء موضوع بحثنا موسومًا بـ: جهود الرّماني في الدّرس البلاغي –كتاب النّكت في إعجاز القرآن–

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى الخوض في هذا الموضوع هو القيمة العلمية الكبيرة لما قدّمه الرُّماني من جُهود في ميدان البلاغة ليحفظ لها قدرتها ويَذْكر لأَهْلها فضْلهم كما يحفظ لأصلها العظيم "القرآن الكريم"، مكانته في الصّدارة، ويجعل من خصائص النّظم فيه معيارًا للبلاغة، وتمييزًا لها عن سواها.

ويحاول هذا البحث الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما الجهود التي قدّمها الرُّماني في الدّرس البلاغي؟ وما الشيء الذي أضافه للبلاغة وميّزه عمّن سواه من النقاد؟

وما هي أهم محتويات كتابه النكت في إعجاز القرآن؟

وكيف كانت نظرته للبلاغة القرآنية؟

وفي حقيقة الأمر لمْ تواجهنا صعوبات –والحمد لله– سوَى تشعُّب المادّة البلاغية وكثرة المعلومات حول جهود الرُّماني في الكشف عن جمال البلاغة، وضيق هذه الصفحات لِتسعها جميعًا. فلا نَحْسب أنَّنا أحَطْنا بكلّ جوانب الموضوع، لأنّه بحر لا ساحل له.

ولتحقيق كلِّ ما تقدّم اعتمدنا خطّة سارت على النّحو التّالي:

مقدّمة، ثمّ مدخل، ثمّ فصلان، أما الفصل الأول وهو الجانب النّظري فعنوانه علم البلاغة وأقسامها، ويتدرّج تحته أربعة مباحث، فالمبحث الأوّل: مفاهيم لغوية ومصطلحية، أمّا المبحث الثاني: أقسام البلاغة فيما خصّصنا ثالث مبحث لترجمة المؤلف، والمبحث الرّابع: علاقة البلاغة بالفصاحة.

أمّا الفصل الثاني: يمثّل الجانب التطبيقي: فهو موسوم بـ: جهود الرّماني في الدّرس البلاغي "كتاب النّكت في إعجاز القرآن أنموذجًا". يتضمن بدوره مبحثين: الأوّل: وصف عام لكتاب النّكت في إعجاز القرآن، أمّا المبحث الثاني: الجهود البلاغية للرّماني في كتابه "النّكت في إعجاز القرآن". وختمناه بخاتمة على جملة من النتائج والتوصيات.

وقد كان لهذا الموضوع عدّة دراسات سابقة نظرًا لأهميته لدى العلماء والباحثين وحاولنا الإفادة منها قدر الإمكان. أهمّها:

- تأصيل البلاغة –بحوث نظرية وتطبيقية– الأستاذ عبد الملك بومنجل.
- الاتساق النّصي عند أبي الحسن الرُّماني رسالة "النّكت في إعجاز القرآن أنموذجا". –د.نجادي بوعمامة/– مشوار مصطفى.
- حوار مع الرُّماني في وجوه الإعجاز القرآني –د.عبد السّلام حمدان اللوح وقَدْ تتبّعنا في مسيرة هذه الدّراسة المنهج الوصفي المرفق بآليات التحليل، الذي يعتمد على استقراء المعطيات ووصف جهود الرّماني في الدّرس البلاغي والكشف عن أسراره وإعجازه، فجاءت مكتبة البحث تضُم مجموعة من المراجع والمصادر أهمُّها:
- البلاغة العربية علم المعاني بين القدامى وأسلوبية المحدثين لمحمد إسماعيل الزوبعي.
- علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" للدكتور محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب.
- إعجاز القرآن لهناء القرشي.
- المنهل العذب في الدّراسة الأدبية والإعراب والبلاغة والعروض والقوافي لعلي الهاشمي.
- البلاغة العربية تعاطف فضل محمد وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

مدخل

نشأة البلاغة:

– القرآن معجزة إلهية نزل << بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينْ>> الشعراء:195

وجد فيه العرب أسلوبًا مغايرًا لأساليبهم، وفصاحة لَمْ يَرْقَ إلى مثلها بشر أبدَا وبلاغة لَمَ يُوصف بمثلها كلام، تحدّى بلاغة العرب التي كانت موضع فخرهم بقوله تعالى: "قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا".[1]

ولهذا تمحورت حوله الدّراسات، لدراسة لغته نحوًا وصرفًا ونقدًا وبلاغة... ورأى الدّارسون أنَّ فيه إعجازًا يجبُ التّعرُّف على أصوله، ومجازًا يجب التّطرُق إلى حقيقته، وإيجازًا يجب الوقوف على أسراره، فكان هذا البيان الساطع حافزًا للدّراسات البلاغية التي كان القُرآن موضوعها الوحيد، ولم تكن هذه الدّراسات مطلبًا تعليميًّا بقدر ما كانت مطلبًا دينيًا لفضْح أضاليل خصومه، وقد نقول أنَّ القُرآن الكريم تسبَّب بنشأة علوم البلاغة، وقد نشأت حوله دراسات كثيرة لا حَصْرَ لَهَا وعدّ. نذكر منها:

أ-كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت276هـ):

-تحدّث ابن قتيبة في كتابه هذا عن المجاز ذاهبًا إلى أنَّ "للعرب المجازات في الكلام، ومعناها طُرق القوْل ومآخذه"[2] وذكر مِنْ هَذه المجازات كُلًّا من الاستعارة، والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح وغيرها من أبواب البلاغة.

[1] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: 88.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط . دار التراث. 1973 ص20.

لكن الموضوع البلاغي الذي شغله كثيرًا هو المجاز الذي أفرد لَهُ بابًا مستقِلاً أكّد فيه إيمانه بوجود المجاز في اللّغة أوّلاً وفي الُقرآن ثانيًا، وعدّد الأمثلة التي تثبت شيوعه في اللّغة، وكان بحثه في المجاز توطئة للكلام على الاستعارة جاعلًا المجاز المرسل منضويًا تحتها وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكناية، ورأى أنَّ الالتفات من أساليب البلاغة العربيّة.

ب-كتاب النُّكت في إعجاز القُرآن للرُّماني (ت384هـ):

منْ أهم موضوعات البلاغة في هذا الكتاب قول المؤلّف "والبلاغة على عشرة أقسام الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، وحُسن البيان".[1]

وقد جاء كلامِه على هذه الأقسام متفاوتًا إذ شغلت الأمثلة والشواهد حيّزًا كبيرًا مِنَ الكلام، أمَّا التَّعريفات البلاغية فكانت غاية في الإيجاز.

وفي سياق الحديث عن الإيجاز تطرَّق إلى الإطناب والتطويل مثنيًا على الإطناب لأنَّه يُفصِّل المعنى وفقًا للمقام. أمَّا التَّطويل فليْس من البلاغة في شيء لأنَّه تكلُّف الكثير من الكلام للقليل من المعاني...

وقَدْ ذكرنا أسماء هذه الكُتب على سبيل المثال فقط، فهناك كُتب أخرى ذكروا أيضًا هذا الباب في: كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، إعجاز القرآن للباقلاني، وبيان إعجاز القُرآن للخطّابي وغيرهم...

وهكذا يمكننا القوْل بأنَّ القُرآن الكريم كان الباعث على تصنيف هذا الكَمْ الهائل من الكُتُب البلاغية المرتبطة بفهم وتفسير القُرآن معنى ومبنى ولقد جعل أبو هلال العسكري تعلُّم البلاغة فرضًا على من يُريد التّعرُّف على بلاغة القُرآن وإعجازه عندما قال: " إنَّ أحقّ العلوم بالتعلُّم، وأوْلاَها بالتّحفُّظ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة".[2]

[1] الرُّماني، النُّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص82.

[2] أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص07.

– حقيقة البلاغة:

– استقرَّ علم البلاغة على يديَّ أبي يعقوب السّكاكي ومدرسته، ولم يطرأ أيَّ تغيير أو تطوُّر عليه منذ بداية القرن السابع الهجري، وقدْ شَمِل هذا الاستقرار العلوم الثلاثة التي كانت مرتبطة به، وهي علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع. وأيضًا الفنون الأخرى الّتي تفرّعت عن هذه العلوم، إضافة إلى مناهج البحث البلاغي والأساليب البلاغية التي كانت تنْهَجُ النّهجَ نفسه الذي أسَّسه السكاكي وسَارَ عليه تلاميذه من بعده. ومن الجدير بالذّكر أنّ التطوُّر الوحيد الذي طرأ على علوم البلاغة في تلك الفترة هو استحداث فنون أخرى تنتمي إلى علوم البلاغة الثلاثة، خاصة علم البديع الذي نتج عنه فروع عدّة.

كانت البلاغة العربية قبل أنْ تَصِل إلى ما وصلَت إليه من حالة الثبات والاستقرار قَدْ مرَّت بفترة زمنية طويلة استغرقت أربعة قُرون، فقد نشأت في بداية القرن الثالث الهجري وكانت ملامحها في البداية بسيطة ومتواضعة وفي الوقت نفسه تابعة للعلوم الأخرى، وفي نهاية الأمر تبلورت هذه الملامح واتّضحت معالمها وأصبحت تشكّل عِلمًا مستقلًا لَهُ مؤلفاته التي تتبنّى القضايا الخاصّة به وقد مرت البلاغة خلال هذه الفترة بثلاث مراحل لكن كان من الصعوبة تحديد بداية ونهاية كلّ مرحلة من المراحل تختلط بنهاية المرحلة التي سبقتها، وأحيانًا نجد في واحدة منها بعض المؤلّفات التي تندرجُ في سمات المرحلة التي سبقتها[1]، ورغم هذا يبقى لكلّ مرحلة خصائصها العامَّة الرئيسيّة ونتاجها العلمي الواسع، ونوجز هذه المراحل كالتالي:

– مرحلة النّشأة على هامش العلوم الأخرى: في هذه المرحلة لَمْ تكُن ملامح البلاغة واضحة تمامًا ولم يكُن لها القُدرة على تبنّي مسائل وقضايا كاملة، وإنَّما كانت عبارة عن ملاحظات وأفكار منتشرة داخل مصنفات العلوم الأخرى التي سبقتها في النشأة.

[1] De : elearn. univ- oran1 .dz.

- **مرحلة التكامُل المشترك:** في هذه المرحلة أخذت البلاغة شَكْلاً آخر حيث أصبحت الأفكار والملاحظات التي رافقت المرحلة الأولى تنضج وتنمو وتتعمّق في ثنايا كُتب العلوم الأخرى، لتتحوّل بعد ذلك إلى فُصول كاملة، لكنّها لازالت مختلطة بهذه المؤلّفات ولمْ يَكُن لها كُتب خاصّة بها.

– مرحلة الاستقرار والتفرُّد: هي المرحلة الأخيرة وفيها اتّخذت البلاغة صيغة محدّدة اتّسَمَت بوضوح المعالم وبشكل نهائي، حيث أصبحت عِلمًا مستقلاً له مؤلفاتُه الخاصّة، وبهذا استطاعت البلاغة التحرُّر من ثنايا مؤلفات العلوم الأخرى.

الجانب النظري

الفصل الأول: علم البلاغة وأقسامها

المبحث الأول: مفاهيم لغوية وإصطلاحية

المبحث الثاني: اقسام البلاغة

المبحث الثالث: ترجمة المؤلف علي بن عيسى الرمان

المبحث الرابع: علاقة البلاغة بالفصاحة

1- البلاغة في اللّغة والاصطلاح:

أ- البلاغة لغةً:

جاء في اللّسان (بلغ): بلغ الشيء يبلُغ بُلُوغًا وبلاغًا: وصل وانتهى... وبلغتُ المكان بلوغًا: وصلتُ إليْه وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعالى: "فإذا بَلَغْنَ أجَلهُنَّ". البقرة 234. أي قَارَبْنه، وبلغ النّبت: انتهى.[1]

وهكذا نرى أنَّ الدّلالة اللّغويَّة تتمحور حول الوصول والانتهاء إلى الشيء والإفضَاء إليه.

وإذا عدنا إلى اللّسان "بلغ"، وجدناه يُقارب المعنى التّالي وهو الفصاحة... رجلٌ بليغ وبَلْغٌ وبِلْغٌ، حسنُ الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بَلْغاء، وقَدْ بَلُغَ

بلاغةً أيْ صَارَ بليغًا.[2]

وهكذا نرى أنَّ المعنى الإضافي (حُسن الكلام) مرتبط بالمعنى الحقيقي (الوصول والانتهاء) لأنَّ الكلام الحسن يوصل ما في قلب المتكلِّم إلى المتلقي بعبارة لسانه المشرقة الواضحة.

ب- البلاغة اصطلاحا:

وردت البلاغة في المعجم أنّها: "مطابقة الكلام الفصيح بمقتضى الحال، فلا بُدّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القويّة المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدِّقة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال منْ يَكْتَب لَهُم أو يُلقى إليْهم".[3]

---

[1] د.مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ص45.

[2] د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع، البيان، المعاني"، علوم البلاغة البديع... المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003، ص08، ط.1.

[3] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ص45.

الملاحظ أنَّ المعجم لَمْ يكتف بتعريف البلاغة، بلْ تعدّاه إلى شروط تحقّقُها في الشّكل والمضمون لتكون آسرة لعقل المخاطبين، فاعلة في قلوبهم، شاملة للمواقف الكلاميّة التي يقفها المتكلِّمون، وأضاف معجم المصطلحات العربيّة إلى الشروط المتقدّم ذكرها شرطًا أهم بقوله: "والذّوق وحده هو العُمْدة في الحُكم على بلاغة الكلام".[1]

وهذا يعني أنَّ تبايُن الأذواق يجعل الحكم على بلاغة الكلام أمرًا نسبيًّا وتُصبح البلاغة بلاغات.

- **مفهوم البلاغة في التّراث:**

أوْرد الجاحظ عدّة تعريفات موروثة من القُدامى: "الشُّعراء والكُتّاب"، عندما سُئِلوا عن البلاغة. نذكر منها:

-البلاغة عند الرُّماني(386هـ):

قال الرُّماني: "البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ".[2] فالبلاغة تعني توصيل المعنى وتمكينه في قُلوب المتلقين عن طريق إلباسه الصُّورة الجميلة من اللفظ الذي يفتن الألباب.

ومنه، نرى أنَّ المصطلح تطوّر في هذا التعريف ليكتسب خُصوصية لم يكتسبها سابقًا. فلم تَعُد البلاغة بأوصافها، بل أخذت تحديدًا واضحًا ودقيقًا بقي متداولاً في كُتب اللاّحقين، يُضيفون عليه ولكنّهم حافظوا على محتواه.

[1] المصدر نفسه ص46.

[2] الرُّماني، النكت في إعجاز القرآن لثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق، محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول عبد السلام، دار المعارف، ط02، ص75-76.

-أبو الهلال العسكري (ت395هـ) يتوسّع في تعريفها:

استعان أبو هلال بالدلالة اللغوية لفهم مصطلح البلاغة عندما ذكر سبب التّسمية قائلاً: "سُمِّيَت البلاغة بلاغةً لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السّامع فيفهمه".[1] ورأى أنّها: "من صفة الكلام لا من صفة المتكلّم... وتسميتها للمتكلّم بليغ توسُّع. وحقيقته أنّ كلامه بليغ".[2]

ثم ذهب إلى أنَّ "الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما، لأنّ كُلّ واحد منهما إنّما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له".[3]

وقد استهلّ العسكري في الفصل الثاني من الصّناعتين تعريفًا مفصّلاً للبلاغة وقد جاءت بنفس المعنى السابق ذكره.

- **عند الخطيب القزويني (ت734هـ):**

أمّا الخطيب القزويني فقد ذهب في مقدّمة (الإيضاح) إلى أنّه يجد في أقوال المنتقدين "مَا يَصْلُح لتعريفهما (الفصاحة والبلاغة) به"[4] غير أنّه انتهى بعد أنْ شرح الفصاحة إلى تعريف بلاغة الكلام بأنّها: " مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته".[5]

- **مفهوم البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ):**

جاء في "دلائل الإعجاز" فصلاً بعنوان "في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكُلّ ما شاكل ذلك". بيّن فيه أنّ: "لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها ممّا يفرد فيه اللّفظ بالنَّعت والصِّفة، وينسب فيه

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين، تحقيق البجّاوي – إبراهيم ص12.
[2] المصدر نفسه ص12.
[3] المصدر نفسه ص13.
[4] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة. ص72.
[5] المصدر نفسه ص07.

الفضل والمزية إليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسْن الدّلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثُمّ تبرّجها في صورة هي أبهى وأزيَنْ، وأنقى وأعجب، وأحقّ بأنْ تستولي على هوى النّفس..."[1]

وهنا قد أعطى الجرجاني صفات مشتركة لِكُلّ من الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان أوّلاً، لأنّه لَمْ يُحدّد البلاغة تحديدًا وافيًا ثانيا، فالكلام يجب أن يكون شديد الدّلالة على المعنى ثمَّ إنه من المستحسن أن يوصف في جملة أنيقة متبرّجة لتأتي فائقة الأناقة تبلغ الأسماع وتطرب لها. ولتأتي العبارة بهذه الصّفات على صاحبها أن يتخيّر اللّفظ الذي يؤدّي المعنى ولا يُقصِّر عنه لأنّه سيصبح بذلك كلامًا غير بليغ.

2- أقسام البلاغة:

عُنِيَ العرب بالبلاغة وضُرُوبِهَا نظرًا لأهميتها في إيراد المعنى وتنسيق اللفظ على النحو الذي تنسجم به زينة الكلام مع المعاني المقصودة.

وتنقسم إلى علوم ثلاثة: علم المعاني، علم البيان، علم البديع[2] وبهذا فالبلاغة قد مرت منذ نشأتها وتكوينها في لغة العرب بمراحل أدت إلى تطورها وتوظيفها في النتاج الأدبي من التطبيق العفوي إلى التطبيق التنظيري الذي جعلها تتحول إلى علم من علوم اللغة[3].

أولاً:علم المعاني

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال.[4]

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، ص35.

[2] بتصرف، محمد أحمد قاسم محي الدين ذيب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص50.

[3] بتصرف، عبد العزيز عتيق في البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1405، 1910، ص28.

[4] إمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، مصر، دار الكتاب العربية، ص37.

علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سِيقَ له.[1]

وهو الفن الأول من فنون البلاغة الثلاث وبالتالي يهتم بالنص كوحدة كلية من حيث الأفكار والجمل واتساقها مع بعضها البعض كما يهتم بمعرفة نوع وأسلوب الكلام المستخدم في الحديث وأساليب الكلام نوعين: خبري وإنشائي.

1/ **الخبر**: هو قول يحتمل التصديق والتكذيب ويجوز أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب.[2]

2/ **الإنشاء**: قول لا يحتمل التصديق ولا التكذيب ولا يجوز أن يُقال لقائل أنه صادق فيه أو كاذب.[3]

ثانيا: علم البيان

البيان في اللغة: الكشف والإيضاح وفي **اصطلاح البلغاء**: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى ولا بد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دومًا. فن البيان علم يعرف به المعنى بطرق مختلفة نحصرها في 1/التشبيه 2/الاستعارة 3/ الكناية، المجاز[4]

ثالثا: علم البديع

هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.[5]

ويعرف به الوجوه والمزايا تزيد الكلام حسنا ورونقًا.[6]

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، المكتبة المصرية، ص46.
[2] علي الهاشمي، المنهل العذب في الدراسة الأدبية والإعراب والبلاغة والعروض والقوافي، ط2، 1999، ص327.
[3] الدكتور محمد علي الهاشمي، مرجع سابق، ص329.
[4] عبد الرحمن الأخضري، شرح جوهر المكنون، دار أحياء الكتب العربية ص132.
[5] علي الحازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع للمدارس الثانوية، دار المعارف، ص20.
[6] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص361.

وعلم البديع: هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك.[1]

ويضم هذا العلم مجموعة من المحسنات البديعية نذكر منها الطباق، المقابلة، الجناس والسجع.

3- ترجمة أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني: " اسمه، نسبه، مولده ووفاته":

-أوّلاً: اسمه ونسبه: هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّماني أصلُه من "سُرَّمَنْ رَأى". ومولدُه ببغداد سنة ستٌّ وتسعين ومائتين، من أفاضل النّحويين والمتكلمين

البغداديين.[2]

إذن فالرُّماني منسوب إلى بغداد، لذلك كان يأتي في ترجمته أنَّه بغدادي ويظهر لنا أنّه اشتهر بعلم النّحو حتّى كان يُنسب إليه فيقال عنه: النّحوي.[3]

ومن المصادر ما كان يزيد في نسبته الإخشيدي نسبة إلى أستاذه الذي تخرّج عليه وهو ابن الإخشيد ومنهم يزيد في اسمه أنّه المتكلّم.[4]

ولكنّ المصادر جميعا تتّفِقُ على أنَّ أشهر نسبة له هي الرُّماني، وهذه النسبة كما يقول السمعاني: " بضَمِّ الرّاء وتشديد الميم وفي آخرها نونٌ بعد الألف، هذه النّسبة إلى الرُّمَّان وبيعه، وبواسط قصر معروف يُقال لَهُ قَصْر الرُّمان ومن المشهورين به هو أبو الحسن علي بن عيسى المتكلّم".[5]

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني ط3، 1368-1967، ص1066.

[2] ابن النديم، الفهرست. دار المعرفة. بيروت. 1398هـ – 1978م. ص94.

[3] القفطي، إنباه الرّواة على أبناه النحاة ج2، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، 1982 ص294.

[4] ابن خِلكان. وفيات الأعيان. ج4. تحقيق إحسان عباس. ط01، دار صادر. بيروت. ص210.

[5] السمعاني، الأنساب ج3، تحقيق ع. الله عمر البارودي. دار الفكر. بيروت 1998 م. ص89.

-ثانيا: مولده ووفاته:

- أجمعت المصادر كذلك على أنّ مؤلده كان في سنة ست وتسعين ومائتين وأكثرها يذهب إلى أنَّ وفاته كانت ليلة الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

-ثالثا: حياته العلميّة ومكانته:

- من الواضح لدى المترجمين للرّماني أنّه كان من أشهر علماء عصره في علوم اللغة وكذلك في علم الكلام والتفسير على مذهب المعتزلة ومن خلال هذه التراجم المتعدّدة نستطيع أنْ نشير إلى عدّة أمور تدلّنا على لمحات عن حياة الرُّماني ومكانته العلميّة ومن أهمها ما يلي:

1- أنّه أشهر علماء عصره في العلوم التي تصدى لها عامة، وفي علم النّحو والكلام خاصة فإنّه ما من مترجم لّه إلَّا وذكره بأنّه إمام عصره، أو أنّه أعلى علماء عصره مقامًا. يقول التوحيدي "وأما علي بن عيسى فعالي الرّتبة في النّحو واللغة والكلام والعروض والمنطق".[1] وقال عنه ياقوت الحموي: " وكان إمامًا في العربية علاّمة في الأدب".

2- أنّه تلقّى على أشهر علماء عصره الذين كانوا أساتذة له، وتلقى على بديله أيضًا، جماعة من مشاهير العلماء الذين أصبحوا تلامذة له، كما زامل وعاصر جماعة من مشاهير عصره، فمن أشهر أساتذته: الذين أخذ عنهم النّحو وعلوم اللغة الذين يذكرون دائمًا على أنّهم أساتذته:[2]

- أبو بكر بن دريد /-أبو بكر بن السرّاج/-الزجاج أخذ عنه علوم اللّغة
- ابن الأخشيد أخذ عنه الكلام على مذهب الاعتزال.

[1] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ص103.

[2] د. إبراهيم سليمان سويلم. أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني وآراؤه الكلامية. كلية الدّراسات الإسلامية والعربية. بورسعيد، جامعة الأزهر، مصر، ص222 و223.

ومن أشهر معاصريه الذين اقترن اسمه دائما بهما:

- أبو السعيد السيرافي/- أبو العلي الفارسي.

ومن أشهر تلامذته الذين أخذوا عنه:

- هلال بن المحسن /- أبو حيان التوحيدي /- أبو القاسم التنوخي.

-كان واسع التّصنيف في كلِّ فنٍّ: فقد أجمع المترجمون للرّماني على أنّه "كان له تصانيف في جميع العلوم، من النحو واللغة والنّجوم والفقه والكلام على رأيْ المعتزلة".[1]

وقال ابن النديم عن الرّماني: "مِنْ أفاضِل النّحويين والمتكلّمين البغداديين متفنن في علومٍ كثيرة من الفقه والقرآن والنّحو والكلام، كثير التّصرُّف والتّأليف، وأكثر ما يصنفه يُؤْخذ عنه إملاءً.[2]

تظهر لنا هذه الحقيقة جليّة من خلال قائمة المؤلّفات التي خلّفها الرّماني والتي ذكرها المترجمون له حتّى قال الذّهبي (له نحو مائة تصنيف).[3]

أهم مؤلفات الرّماني: نذكر منها:

- كتاب شرح سيبويه.
- كتاب الإيجاز في النّحو.
- كتاب الجامع لعلم القرآن.
- كتاب النّكت في إعجاز القرآن.

[1] السمعاني، الأنساب، ج3، ص89.
[2] ابن النديم، الفهرست، ج1، ص94.
[3] القفطي، إنباه الرّواة ج2. ص295.

- كتاب الرُّؤية.
- كتاب المنطق... وغيرها من الكتب التي صنّفها الرُّماني على أنّه كان صاحب معرفة واسعة بالعلوم المختلفة التي كانت معروفة في عصره.

كان الرّماني صاحب دين وتقوى ومشهور بالصَّلاح، وذلك أنّ كثيرًا من الكُتُب التي تُرجمت له أشارت إلى صلاحه وعبادته وتقواه أبو حيان التّوحيدي لا يذكر الرّماني إلاّ أن يصفه بالشيخ الصالح وذو عقلٍ رزين.

كان الرّماني صاحب منهج خاص به حتّى لقد شاع عن الرّماني أنّه كان صونًا وحيدًا بين أصوات النّحاة في القرن الرابع بل لقد كان في الحقّ منفردًا بين نحاة عصره بمنهج مستقلٍ في معالجة البحث النّحوي وتحقيق مسائله.[1]

حتّى لاحظ معاصروه هذا واتّهموه بالغموض أحيانًا في التّأليف والتدريس خاصة في علم النّحو.

4- علاقة البلاغة بالفصاحة:

أ- **الفصاحة في القواميس:**

جاء في لسان العرب (فصح): " الفصاحة: البيان فَصُح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفِصاح وفُصُح... تقول: رَجُل فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق... وأفصح عن الشيء إفصاحا إذا بيّنه وكشفه.

وفَصُحَ الرجل وتفصّح إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة... وكل ما وَضَحَ فقد أفصح".

من هذا الكلام نستدل على أن المعنى القاموسي متمحور حول معنيين الوضوح والظهور وهذا هو المعنى الوارد في القرآن الكريم "وأَخِي هَارُون هو أَفْصَح منِّي لِسَانًا" القصص:36، كما ورد بهذا المعنى نفسه في الحديث الشريف الذي جاء فيه " أنا أفصح العربيدا انني من قريش"

[1] د مازن المبارك الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه. ص05.

كما نستدل على أنّ الفصاحة والبلاغة شيء واحد إذْ اللسان شرح "رجل فصيح" فقال: أي بليغ فكأن الفصاحة والبلاغة عنده سيّان.

ب- الفصاحة اصطلاحًا:

جاء في معجم المصطلحات العربية[1] "الفصاحة: أن تكون كل لفظة في الكلام بيّنة المعنى، مفهومة، عذبة، سلسلة، متمشية مع القواعد الصرفية" وجعل الفصاحة في ثلاث أمور: 1 فصاحة التركيب، 2 فصاحة الكلمة، 3 فصاحة المتكلم، فالفصاحة باختصار هي: الكلام الواضح المعنى، البيّن الغرض الذي تجري ألفاظه على قواعد اللغة وقد قسمها البلاغيون القدامى قسمين هما:

أولا: فصاحة المفرد:

ويعني" المفرد" اللفظ الواحد مجرد من سياقه الذي انتظم فيه فهو إذًا كلمة.

ولا تكون الكلمة فصيحة في نظرهم إلا إذا دخلت من عيوب ثلاثة هي:

- **تنافر الحروف:**

ويعني البلاغيون بهذا المصطلح ما تكون الكلمة بسببه ثقيلة على اللسان بحيث يصعب النطق بها، وثقيلة على السمع أيضا، وقد رأى البلاغيون ثقلا خفيفا في قول امرئ القيس (الطويل)[2]:

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل.

[1] وهبة، المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص152.

[2] ديوان امرئ القيس، شرح حسن السندوبي، ص150.

فكلمة مستشزرات غير فصيحة عندهم لصعوبة النطق بها دفعة واحدة فيضطر القارئ إلى تجزئتها وقراءتها مقطعيا، ولكن هذه الكلمة تبقى أحق من كلمة "الهُعْخُعْ" التي عدّها البلاغيون ثقيلة أو هي غاية في الثقل وقد سمى الجاحظ هذه الظاهرة بالاقتران عندما قال[1]:

... فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف، ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا تأخير، والزّاي لا تقارن الظاء ولا السّين، ولا الضاد، ولا الدّال، بتقديم ولا بتأخير، وهذا باب كبير، وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجرى".

- **الغرابة:**

اللفظ الغريب: هو الذي مات استعماله، وغدا من الحوشي الذي يُحتاج في التعرف إلى دلالته إلى المعجمات.

والحَكَمُ في قضية الغرابة الأدباء والشعراء لا العامة، وإلا صار مجمل اللغة غريبا غير فصيح، قال أبو الطيب (الكامل)[2]:

جَفَخَتْ وهم لايجفخون بها بهم شيّم على الحسب الأخر دلائل

فالفعل جفخ يعني قاموسيا تكبّر وفخر وقد لجأ إليه المتنبي ليتحدى أعداءه في البلاط، وإذا كان النقاد قد ذهبوا إلى أن اللجوء إلى الغريب عجز في صاحبه فمن السهل على المتنبي إحلال (فخرت) مكان (جفخت) و"يفخرون" مكان "يجفخون" ليبتعد عن الغريب ولهذا فإن الضرورة أو العجز لم يلجئاه إلى الغريب ولكن الرغبة في التمايز والانفراد هي التي دفعته إلى اختيار اللفظ الغريب، ولعل البيت مصاب بعيب آخر غير الغرابة ألا يَصِح اتهام اللفظ نفسه "جفخت" بتنافر الحروف؟ ألا يتهم البيت أيضا بالتعقيد اللفظي المتمثل في تكرار الضمائر الموقع في صعوبة ردها إلى أصحابها "بها،

[1] الجاحظ، البيان والتبين، ص69.

[2] ديوان المتنبي، شرح العكبري: 257/2.

بهم". هذا التعقيد اللفظي أوقع في تعقيد معنوي حتى صار البيت بحاجة إلى شحد الحس اللغوي، وإعادة صياغته لنظم البيت وصولا إلى المعنى، والنظم المعنوي للبيت هو: جفخت بهم شيم على الحَسب الأغرّ دلائل، وهم لايجفخون بها.

إنّ الكلام على غرابة اللفظ حمل النقاد على الحديث عن التفاضل بين لفظ وآخر، ورأى الجرجاني أن الكلمتين المفردتين لا تتفاضلان[1] "من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه، من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف، وامتزاجها أحسن".

وإذا كان الجرجاني قد فضل الكلمة المألوفة على الغريبة الوحشية والحقيقة على اللسان على الثقيلة عليه، فإنه في الواقع قد أهمل الدوافع النفسية التي تحمل الشاعر على تفضيل الغريب مع قدرته على استخدام المألوف كتلك التي حملت المتنبي على تفضيل "جفخت" على "فخرت".

ولعلّ الجرجاني قد أدرك الخلل في نظرته هذه إلى التفاضل فقال: "لقد اتضح إذن اتضاحًا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة، وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تَعْلَق له بصريح اللفظ".

وهكذا يرى الجرجاني أن الفصاحة والبلاغة ليستا في اللفظ المفرد إلا إذا انتظم في سياق، وهو محق في ذلك لأن الكلمة بمفردها مشروع معنى لا يحدّده ويقيّده السياق، وإذا كان للجرجاني قد ذهب إلى أنّ[2] "الكلمة تروقك وتؤنِسكَ في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر" فإنني أذهب إلى أن [جفخت] فصيحة في سياقها على الرغم من تنافر حروفها وحوشيتها، لأنها رصفت في سياق لا يليق به غيرها.

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز ص26.

[2] المصدر نفسه، ص38.

- **مخالفة القياس اللغوي:**

قال أبو النجم العجلي[1] [الرجز]

الحمد لله العلي الأجلل *** الواهب الفضل الكريم المجزل.

وقال المتنبي[2] [الطويل]:

ولا يبرمُ الأمر الذي هو حالل *** ولا يُحلّلُ الأمر الذي هو مُبْرَمُ.

توافرت لأبي النجم والمتنبي شروط الإدغام ولكن الضرورة ألجأتهما إلى فكه في كل من (الأجلل – الأجل) و(حالل – حال) و(يُحلل – يُحل) وفي هذه الضرورة مخالفة للقياس الصرفي.

ومن مخالفة القياس الصرفي ما نجده من أخطاء شائعة على ألسنة الناس وفي كتابات بعض المحدثين كأن يقولوا: السيّارة المباعة، ونضوج الفاكهة يزيدها حلاوة، وهذه عصاتي وغير ذلك، والقياس الصرفي يقضي بقول: السيارة المبيعة، ونُضج الفاكهة ونُضجها، وهذه عصاي فالكاتب المبدع، والشاعر المفلق، يتحرى صحة الألفاظ وجريانها على قواعد الصرف والنحو، ويبتعد عن الألفاظ العامية المبتدلة.

ولقد خالف بعض النقاد القدامى هذا المبدأ، فابن الأثير ينبه إلى أنه[3] "ينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة" وفي هذا الحكم ضرب من المغالاة –في رأينا- لأن الفصاحة وضوح وتبيين ورفع المفعول ونصب الفاعل لا يوضحان المعنى علاوة على أن الأدب آلته اللغة فإذا كانت اللغة ركيكة ذهب رونق الأدب.

[1] البغدادي 2، خزانة الأدب، ص390.

[2] ديوان المتنبي، للشرح العكبري 85/4.

[3] ابن الأثير، المثل السّائر ج1/ص425.

وذهب ابن خلدون إلى موقف شبيه بموقف ابن الأثير عندما رأى[1] "أن الإعراب لا دخل له في البلاغة، فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أصل الملكة، فإذا عرف الاصطلاح في ملكة، واشتهر، صّت الدلالة، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة".

إنّ الاستخفاف بقوانين النُحاة، لا يخدم الإبداع بل يعارضه والقدامى اشترطوا صحة القياس ليبقى التواصل ولنتأصل الملكة ولأنهم أدركوا أن فشو اللحن قد عّل آلة البلاغة كما عطّل حسن السليقة وتمكن الملكة.

ونهض من بين المحدثين من يؤكد[2] "أهمية إتباع نظام موحد في التعامل مع اللغة حفاظا على سلامة النظام اللغوي في أبنيته ومفرداته، لكن لا ينبغي –في الوقت نفسه– التعويل دائما على القياس والخضوع المطلق لكل ما يفرضه" وردّنا على هذا لا يختلف كثيرا عن رأينا في ما تقدم من كلام على رأيي ابن الأثير وابن خلدون.

ثانيا: فصاحة الكلام :

وضع البلاغيون أربعة شروط لفصاحة الكلام هي:

1–سلامة من ضعف التأليف:

وتعني هذه السلامة خُلو الكلام من الخطأ النحوي والصرفي وجريانه على قواعد النحو المطرد كقول حسان[3] الطويل.

ولو أنّ مجدًا أخلد الدّهر واحدًا من الناس أبقى مجدُه الدهر مطمعا.

[1] محمد الأسعد، مقالة في اللغة الشعرية، ص16.

[2] د شفيع السيّد، البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم ص 138، 139.

[3] شرح ديوان حسان، شرح البرقوقي، ص454.

أعاد الشاعر الضمير المتصل بالفاعل على متأخر لفظا ورتبته الهاء في مجده عائدة على "مطعما" وهو متأخر في اللفظ والرتبة لأنه مفعول به، وهذا ممنوع عند جمهور البصريين، ولكن بعض الكوفيين وابن جني أجازوا ذلك، والمتتبع لدواوين الشعراء القدامى، وكتابات المحدثين يرى أن هذه الظاهرة شاعت وليست من جنايات الترجمة كما ذهب إلى ذلك المخطئون.

ويبدو أن شيوعها قد سبق لغة الصحافة لأن الشعراء الذين يحتج بشعرهم قد فعلوا ذلك، والأغرب أن واضع علم النحو قد فعل ذلك في شعره عندما قال[1] الطويل:

جزى ربه مني عديّ بن حاتم *** جزاء الكلاب العاويات وقد فعل.

فكيف تكون هذه الظاهرة ممنوعة عند النحويين وأبو النحو يستخدمها في شعره؟ وأين مصداقية المنظر إذا خالفت الممارسة التنظير؟.

2/سلامته من تنافر الحروف في الكلمات المتتابعة:

وهذا يعني ألا يكون بين الكلمات المتتابعة مجتمعة في تركيب انسجام وتالف بحيث تثقل على اللسان، ويصعب التلفظ بها، وإذا كانت كل كلمة بمفردها حفيفة لا ثقل فيها.

وذكر الجاحظ قولا للأصمعي جاء فيه[2] "ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلّا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر [السريع]:

وقبر حرب بمكان قفْرِ *** وليس قرب قبر حرب قبرُ.

[1] ديوان أبي الأسود الدولي، تحق محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت 1974 ص162.
[2] الجاحظ، البيان والتبيين، 65/1.

ولما رأى من لا علم له أن أحدًا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسقٍ واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلَجُ، وقيل لهم: إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن، صدّقوا ذلك".[1]

إذا عدنا إلى كل لفظة بمفردها من ألفاظ البيت وجدناها خالية من تنافر الحروف، لا ثقل فيها على اللسان، ولكن عند اجتماعها في تعبير بدت متنافرة، لا تألف بينها ولا تجانس، حتى ليتعثر اللسن بنطقها مجتمعة.

ورأى الجاحظ أنه إذا[2] "كانت ألفظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان من التنافر مابين أولاد العلاّت*، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا

موافقا، كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة."

ولهذا خلص إلى القول[3] "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبك سَبْكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان".

3–سلامته من التعقيد اللفظي:

رأى البلاغيون أنّ التعقيد اللفظي يعني أن يأتي الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع وتركيبه، بحيث لا يأتي رصف الألفاظ وفق ترتيب المعاني، وسبب ذلك اعتماد الفصل بين كلمات توجب اللغة عدم الفصل بينها وتأخير الألفاظ عن مواطنها الأصلية لغرض غير بلاغي، ونقدم مثالاً على التعقيد اللفظي قول الفرزدق[4] [الطويل]:

وما مثله في الناس إل مُمَلكا أبو أمه حي أبوه يقاربه.

[1] الجاحظ 6، راجع قصة البيت في الحيوان،/207.

[2] الجاحظ، البيان والتبين 67/61.

* أولاد العلة: هم أبناء رجل واحد من أمهات شتى.

[3] الجاحظ، البيان والتبين ص/67.

[4] ديوان الفرزدق. ص26.

فضرورة الوزن جملة على التعقيد ففصل بين البدل [حيّ] والمبدل منه (مثل) وقدّم المستثنى (مملكا) على المستثنى منه (حيّ) وفصل بين المبتدأ والخبر (أبو أمه أبوه) بأجنبي وهو (حي) وبين الصفة والموصوف (حي يقاربه) بأجنبي هو (أبوه) ورصف البيت ونظمه بحسب المعاني هو: ليس كالممدوح في الناس حي يقاربه الفضائل إلّا ملكا، أبو أم ذلك الملك أبو الممدوح، لذلك كان على القارئ أو السامع أن يطلب المعنى بالحيلة وأن يسعى إليه من غير الطريق.

4-سلامته من التعقيد المعنوي:

ويقصد بالتعقيد المعنوي الكلام الذي خفيت دلالته على المعنى لخلل واقع في معناه، بسبب انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم لغة من اللفظ، إلى المعنى القاني المقصود بحيث يحتاج المعنى البعيد إلى تكلف وتعسّف في التفسير.

ومن التعقيد المعنوي ما جاء في قول العبّاس بن الأخف [1] الطويل:

سأطلب بعد الدّار عنكم لتقربوا *** وتسكب عيناي الدموع لتجمدَا.

طلب الشاعر البعد عن أحبته غير عابئ بآلام البعد لتعليله نفسه بوصال دائم، وفرح لا يزول بعد أن عاد من سفره غَنِيًّا ليطول اجتماعه بأحبته فقد عبّر الشاعر عما يوجبه فراق الأحبة مولوعة وحزن ب (تسكب عيناي الدموع) فكان مجيدًا في تعبيره لأنّ البكاء أمارة على الحزن وكنى بـ (جمود العين) عن السرور والبهجة اللذين أصاباه بعد اجتماعه بأحبته، لكنه أخطأ الهدف لأن جمود العين يعني جفاف الدمع وعدم جريانه عند الدافع إليه (الحزن على فراق الأحبة) لا عمّا أراده من السرور، إذ متى كان لبكاء أمارة على السرور؟

أضاف المحدثون عيبا خامسًا هو:

[1] د. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ذيب، علوم البلاغة "البديع، البيان والمعاني" ص35.

5-كثرة التكرار وتتبع الإضافات:

مثال ذلك قول المتنبي في فرسه[1] الطويل:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة *** سبوح لها منها عليها شواهد

تتابعت في البيت حروف الجر ومجروراتها، وكذلك الضمائر مما أفضى إلى ثقل الكلام على اللسان، وتكرار غمرة أسقط عنها طاقة الإيحاء، قال الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في قصيدة بعنوان[2] (براءة 1956):

من طيبتي

من كبريائي

من أصدقائي

من كل ما قدّست

ما آمنت أنّ به بقائي

...

من ذكرياتي

من حاضري

من كل آتٍ

[1] ديوان المتنبي، شرح العكبري 270/1.

[2] عبد الرزاق عبد الواحد، الأعمال الشعرية، المجلد الأول ص193 – 194.

...

من والدي وسحابة الستّين في عينيه تهمي

من إخوتي حتى الصغير

ومن أخياتي وأمي

من كل إنسانيتي

من كل إيثاري لغيري

من كل شعري

ففي الأسطر الأربعة عشر تكرّر حرف الجر (من) ثلاث عشرة مرة، تصدّر ثلاثة عشر سطْرًا، وتكررت (كلٍ) خمس مرات حتى كان تكرارهما مدروسًا فاشتد من خلال التكرار عمق شعورنا بالمأساة، وكانت الكلمة منطلقا ولم تكن مجرد متكئ يتولى عليه الشاعر منطلقا من موضوعات جديدة، لهذا كان هذا التكرار مدروسا ساعد الشاعر على إفراغ عواطفه وإبراز انفعالاته ولم يكن التكرار سبيلا إلى السأم وتهرؤ الصيغ ومعانيها.

الجانب التطبيقي

الفصل الثاني: جهود الرماني في الدرس البلاغي ''كتاب النكت في الإعجاز القرآني أنموذجا''

المبحث الأول: وصف عام لكتاب النكت في إعجاز القرآن:

المبحث الثاني: جهود الرماني في الدرس البلاغي

1- وصف عام لكتاب النكت في إعجاز القرآن:

''النكت في ال إعجاز القرآن'' لأبي الحسن علي الرماني ت 384 هـ من طليعة المؤلفات الرائدة في بيان إعجاز القرآن ومن الجانب البلاغي خاصة، وكان لهذه الرسالة أثر كبير فيما كتب عن إعجاز القرآن، وقد لقيت رسالته إهتمام كبير من العلماء القدماء المحدثين، فنقلوا عنها وناقشوا صاحبها ورغم هذا فلا نعرف واحدا من القدماء انتدب لشرح هذه الرسالة والكشف عما تحويه من كنوز مثمورة، يُعد الرّماني عالما نحريرا جمَّاعة للعلوم، إذ عرف عنه تقدمه في علوم اللغة والنحو، والأدب، وعلوم القرآن والتفسير وعلم الكلام وعلم المنطق والفلسفة والنجوم وقد أبدع في شتى هذه العلوم وأثر في من أتى بعده من خلال ما توصل إليه في مؤلفاته في هذه الموضوعات، ومن هذه العلوم علم البلاغة بأقسامها الثلاثة: المعاني، البديع والبيان[1].

من الذين درسوا علم البلاغة وقسمها إلى علمين وهي كالتالي:

قسم السكاكي في البلاغة التقسيم المشهور المتمثل في المعاني والبيان والبديع، ويرى تمام حسّان أن هذا التقسيم شبيه بالبناء المتكامل، وفي ذلك يقول "فإذا عنى علم المعاني بإقامة الصرح، وعنى البيان بتقديم اللبنات ومواد البناء، فإن علم البديع يعنى بطلاء المبنى وزخرفه[2]

ومن خلال كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي نجده يتحدث عن علمي المعاني والبيان، وعلم الاستدلال، وعلم الشعر، غير أنّ أصول الدرس البلاغي العربي مُدرجة في علمي المعاني والبيان، فعلم المعاني قال عنه: "هو تتبع خواص تركيب

[1] الرّماني، كتاب النكت في إعجاز القرآن، مكتبة الجامعة المليّة، دهلى، سنة1934، ص1.2

[2] تمام حسّان، الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص349.

الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره[1].

أما علم البيان فعرفه بقوله: "هو معرفة بإيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة قيل وضوح الدلالة عليها، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[2].

معلومات حول الكتاب:

- **نوع النسخة** : كتاب نصي
- **المصدر**: المكتبة الشاملة
- **الكتاب**: النكت في إعجاز القرآن
- **المؤلف**: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرمّاني المعتزلي، ت 384 هـ
- **مطبوع ضمن**: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ''سلسلة دخائر العرب ''16
- **المحقق**: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام
- **الناشر**: دار المعارف بمصر
- **الطبعة**: **الطبعة الثالثة** ، 1976م
- **عدد الأجزاء**: 01
- **عدد الصفحات**: 38 ص

[1] أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ، 1987م، ص161.

[2] المصدر نفسه، ص162.

مفهوم النكنة في معجم لسان العرب لابن منظور

"نكت" الليث النكت ان تنكت بقضيب فب الأرض فتؤثر بطرفه فيها وفي الحديث فجعل نكت بقضيب أي بضربة الأرض بطرفة ابن سيده النكت قرعك الأرض بعود أو بإصبع وفي الحديث بيننا هو بنكت اذا انتبه أي يفكر ويحدث نفسه و أصله من النكت بالحصى ونكت الأرض بالقضيب وهو ان يؤثر فيها بطرفه فعل المفكر المهموم وفي حديث عمر رضي الله عنه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى أي يضربون له الأرض والناكت أن يحز مرفق البعير في جنبه العريس الكناني وفي معجم الوسيط.

"نكت" الأرض وفيها نكتا أثر فيها بعود أو نحوه ويقال أتيته وهو ينكت يفكر كأنما يحدث نفسه ومر الفرس وهو ينكت يثب والشيء رماه إلى الأرض ويقال نكت فلانا ألقاه على رأسه والشيء نثر ما فيه أو أخرجه يقال نكت كنانته نثر ما فيها ونكت العظم أخرج مخه " نكت "

الرطب بدا فيه الا رطاب وفي قوله أنتي فيه بطرف ولطائف " انتكت " فلان سقط على رأسه ويقال نكته فانتكت " النكات " الكثير النكت والكثير التنكيت يقال فلان نكات في الأعراض طعان " النكتة " الأثر الحاصل من نكت الأرض والنقطة في الشيئ تخالف لونه والعلامة الخفية والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة والعام فكرة وشبه وسخ في المراة أو السيف وشبه وقرة في قرنيه العين ويسميها العامة نقطة "ج" نكت ومكات (النكيت) المطعون فيه [1]

نستخلص من هذين المعجمين، أولا من لسان العرب أن النكتة هي المسألة الدقيقة أخرجت بدقة نظر و إ معان فكر .....لتأثر الخواطر باستنباطها أولا لانها تؤثر في النفس قبضا أو سبطا ثانيا من معجم الوسيط أن النكتة هي : الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة و انغام فكر .....

النكتة بمفهومها العام هي: النكتة من الكلام الجملة المنقعة المحذوفة الفضول، ويعني معنى النكتة في كتاب اعجاز القران للرماني ، وكذلك هي اللطيفة المؤثرة في القلب أو المقصود بها الفوائد

« لقد ألف الرماني كتابه على طريقة النظم حين ذهب فيه إلى أن الكلام إنما يقول بهذه العوامل الثلاثة لفظ عامل أو معنى به قائم ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القران وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لاترى شيئا من الألفاظ أفضح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا و أشد تلاؤما من نظمه »

[1] ابن منظور لسان العرب، ص1.

وتحث باسهابا عن فصاحة الكلمة لأنها في نظره جزء من فصاحة الكلام وبلاغته، وحسن النظم ووصف الكلمة بالفصاحة والحزالة البعيدة، عن العزابه1 .

قسم البلاغة إلى عشرة أقسام هي: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان، ويذهب إلى تفصيل القول في كل من هذه الأقسام العشرة، ويقارن بين ما جاء به العرب وما جاء به القرآن وما بينهما من تفاوت في مستوى التعبير ومجال التصوير[2].

ونستنتج أن استعارة القرآن ليس في الاستعارة المفردة ولا التشبيه المفرد، ومن هذا فإن الرماني لم يدرك نظرية النظم ولم ينظر إلى الإعجاز نظرة تكاملية وإنما نظرة متجزئة.

وقد جاء كلامه على هذه الأقسام متفاوتا إذ شغلت الأمثلة والشواهد حيزا كبيرًا من الكلام أما التعريفات البلاغية فكانت غاية في الإيجاز.

وفي سياق الحديث عن الإيجاز، فقد عرّفه الجرجاني من خلال كتابه التعريفات، أن الإيجاز هو أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة"[3].

تطرق الرّماني إلى الإطناب والتطويل مثنيا على الإطناب لأنّه يُفصل المعنى وفقا للمقام، وعرّفه أنه يكون في تفصيل المعنى، وما يتعلق به في الواضح التي يحسن فيها التفصيل والإطناب بلاغة والتطويل عي[4].

أما التطويل فليس من البلاغة في شيء لأنه تكلف الكثير من الكلام للقليل من المعاني.

[1] إبراهيم أنيس، مرجع الوسيط ص1

[2] مشوار مصطفى، نجادي بوعمامة، الاتساق النصي عند أبي الحسن الرماني، رسالة النكت في إعجاز القرآن، أنموذجا، جامعة ابن خلدون، الجزائر، تاريخ النشر 2021/3/1، ص210.

[3] علي بن محمد علي الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 2002، ص136، 137.

[4] محمد إسماعيل الزويعي، البلاغة العربية، علم المعاني بين القدامى وأسلوبية المحدثين، منشورات جامعة قاز يونس، ص408.

ذهب الرّماني إلى أنّ ''الشعراء يتفاضلون في باب التشبيه، حيث عرفه الرّماني: هو العقد على أن أحد الشيئين يسُدُ مَسَدَ الآخر في حس أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس''[1].

ومن هذا نستخلص أنّ الرّماني فاضل بين الفواصل والسجع، مشيدًا بالفواصل لأنها تابعة للمعاني في حين كانت المعاني تابعة للأسجاع.

- **مضامين رسالة النكت في إعجاز القرآن:**

تحمل الرسالة في طياتها فوائد بلاغية إعجازية نفسية، لقد كان سبب كتابة هذه الرسالة هو الإجابة على سؤال حول الإعجاز في القرآن حيث ذكر قائلا: تظهر وجوه إعجاز القرآن في سبع جهات وهي:

- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة الصِّرفة، البلاغة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقيلة، نقص العادة قياسه بكل معجزة[2].

2- جهود الرّماني في الدرس البلاغي:

جدير بالذكر أن نشير إلى أنَّ الرّومان قدْ خصَّ كتاب "النّكت في إعجاز القرآن بكلِّ مضامينه ومشتملاته، فقَدْ أضفى أثرًا جديدًا وواضحًا في تاريخ البلاغة العربيّة، وعرّف فيه بعض ألوانها تعريفًا نهائيا وميّز أقسامها وأفاض في شرحها.

قسّم البلاغيّون وأوّلهم السكاكي علم البلاغة عامّة إلى ثلاثة أقسام:

[1] حسن عبد الجليل يوسف، علم البيان بين القدماء والمحدثين، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006،ص11.

[2] مشوار مصطفى، نجادي بوعمامة، الاتساق النصي عند أبي الحسن الرّماني، رسالة النكت في إعجاز القرآن أنموذجا، جامعة تيارت، تاريخ النشر 2021/3/1، ص209.

أ- **علم المعاني**: وأبرز موضوعاته:

- الإيجاز والإطناب.
- الحذف والقصر.
- التكرار والمساواة.

ب- **علم البديع**: وأهم موضوعاته:

- المحسنات المعنوية: الطباق، المقابلة، المبالغة، الاقتباس،...
- المحسّنات اللفظية: الجناس، السجع، الموازنة.

ج- **علم البيان**: وموضوعاته:

- التشبيه وأنواعه وأغراضه.
- الحقيقة والمجاز وأنواعهما.
- الاستعارة وأنواعها.
- الكناية...

- لكنّ الرّماني قد سلك سبيلاً آخر في الكشف عن البلاغة في دراسته فهو يُرجع البلاغة إلى عشرة أبواب يذكرها بابًا بابًا، ويقدِّم الشواهد القُرآنية العديدة في كلِّ باب، مشيرًا إلى أسرارها البلاغية وموازنًا أحيانًا بينها وبين ما أثر عن العرب في مثل معناها، وتلك الأبواب هي: الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، البيان، وسنستعرض مع الرّوماني هذه الأبواب مبرزين قيمة آرائه وجهوده أيضًا في أقسام علوم البلاغة الثلاث:

أ–جهوده في علم المعاني:

مفهومه: جاء في معجم المصطلحات العربية: "هو أحد علوم البلاغة العربيّة وهو العلم الذي يعرف به ما يلحق اللفظ من أحوال حتى يكون مطابقًا لمقتضى الحال"[1] حيث ركّز التعريف على تركيب الكلام، وعلى وضعه في المقام المناسب.

أمّا عند الرّماني لَمْ يَرِدْ في رسالته مصطلح "المعاني" ولا مفهوم علم المعاني ولكنّه ركّز على ضرورة ربط البلاغة بالمعنى وتحقيقها للإفهام وسعى إلى تحديد بعض الفنون البلاغية التي اندرجت ضمن علم المعاني لاحقًا مثل: الإيجاز والإطناب إذْ وصل "الإيجاز" عنده إلى أكمل صُوره بعد أنْ مرَّ بمراحل عدّة من النُّمو والتّطوُّر، فوضعه في مقدِّمة فنون البلاغة القرآنية، وأرجع سبب اختياره له وتقديمه على سواه من الفنون إلى: "فضيلته على سائر الكلام ... وعُلُوّه على غيره من أنواع البيان".[2] وهذا لا يوضّح سبب هذه الفضيلة بدقّة فربَّما يكون السّبب الرّئيسي في كونه قد ورد في القرآن الكريم، فهو يحتكم إلى هذا الفن بكثرة في أدائه للمعنى على أكمل الوُجوه.

- **الإيجاز والإطناب:**

وضّح الرّماني في الإيجاز جميع المفاهيم التي سادت عند البلاغيين فيما بعد فقال: "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"[3] فقد اشترط ضرورة المحافظة على المعنى وعدم الإخلال به، وأنْ يكون المقام هو الفيصل في استعماله وتمييزه عن "الإطناب" فإنَّ لكلّ من الإيجاز والإطناب موضعًا يكون به أولى من الآخر: "لأنّ الحاجة إليه أشدّ والاهتمام به أعظم"[4] مع ضرورة المحافظة على عدم الإخلال بالمعنى، لأنّه بذلك يستوجب خروج الإيجاز إلى التقصير والإطناب إلى التّطويل، وقد اعتبر الرّماني الإيجاز بلاغة والتقصير عيْ والإطناب بلاغة والتّطويل عيْ، والإيجاز لاَ إخلال فيه بالمعنى

[1] مجدي وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ص143.
[2] الرّوماني، النُّكت في إعجاز القرآن، ص70.
[3] الرّوماني، المصدر السابق، ص76.
[4] المصدر نفسه، ص79.

المدلول عليه، وليس كذلك التقصير، لأنّه فيه إخلال بالمعنى فأمّا الإطناب يكون في "تفصيل المعنى وما يتعلق فيه من المواضيع التي يحسن فيها ذكر التفصيل"[1].

ومعنى هذا أنَّ الإيجاز والإطناب في المعنى واحد.

ترى الباحثة هناء القرشي أنّ الرمانيّ قسّم الإيجاز إلى حذف وقصْر، وتقسيمه هذا يبدو في صورة أتمّ من محاولات سابقيه، إذ حسم الخلاف الدّائر حول جواز وقوع الحذف والزيادة في القرآن، عندما جمع بين النّوعيْن ولَمْ يلْتزم أحدهما من دون الآخر.

-إيجاز الحذف: يكون بإسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال.

إيجاز القصْر: قال أنّه بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف هو مفهوم سبق أن أدركه الجاحظ في كتاباته* ولكنّ الفضل في تسميته يعود للرّوماني فضلاً عن توسّعه في المقارنة التي أجراها المبرّد بين قوله تعالى: "ولَكُمْ في القصاص حياة". البقرة 179. ولهذه الآية عدّة معان منها: أن القاتل لو علم بعقوبة فعلته لانكفَّ عن صنيعته وبهذا فأن بذلك حياة للنفوس، وقد جاءت هذه العبارة أفصح وأبلغ من قول العرب "القتل أنفى للقتل"[2] لقد كان للشواهد القرآنية التي استدلَّ بها الرّوماني من هذا الباب فضل إضافة إضاءات جديدة للنّص، فمثلاً في شواهده عن الإيجاز بالحذف قال: "فمن الحذف: "وَاسْأَلِ القَرْيَةَ" سورة يوسف/82؛ فالمعنى المراد هو لأهل القرية ففي الآية حذف وإضمار، وكأن إخوة يوسف عليه السلام مبالغة في إثبات براءتهم طلبوا أن تسأل القرية، ومنه: "بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ" التوبة 01 حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذكر؛ والمعنى في هذه الآية أن الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لأن العهود بين المسلمين والمشركين هو عهد الله ولكنه خاطب المؤمنين لعلمهم بمعناه، ومَا جاء منه في القرآن

[1] المصدر نفسه، ص78، 79.

*يُنظر هناء القرشي، إعجاز القرآن، ص28.

[2] المبرّد ، البلاغة، تحقيق؛ رمضان عبد النّواب، ط2، ص67.

كثير، كقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِمَ بِهِ المَوْتَى" الرّعد/31. ومنه، "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ" محمد/21، ومنه حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذكر، ومَا جاء منه في القرآن كثير، كقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى" الرّعد/31. كأنَّهُ قيل: لكان هذا القُرْآن. ومِنْه قوله أيضًا: وسيقَى الذين اتَّقُوا ربَّهُمُ إلَى الجنَّة زُمَرًا حَتَّى إذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَت أبْوَبُهَا" الزمر/73. كأنْ قيل: حَصَلُوا على النّعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيس والتّكدير"[1]

فهذه الشواهد أشارت إلى أمور عدّة أضمر الرُّماني الحديث عنها، منها: أنّ هذا النّوع من الإيجاز لاَ يَلْتزم الكلمة أساسًا لَهُ. إسقاط كلمة لا غير، لأنّه في هذه الشواهد أورد ما هو حذف لأكثر من كلمة مثلما هو الحال في حذف الأجوبة فضلاً عن أنَّ هذه الشواهد جمعت أنواعًا مختلفة من الحذف، مثل حذف المضاف، الخبر، المبتدأ، فجعل الحذف شاملاً لِكُلّ أجزاء الجملة من دون تحديده بالمسند والمسند إليه فقط.

وهناك ملاحظة ينبغي التنبُّه لها، وهي أنَّ الرّماني غضَّ النَّظر عن التقدير في بعض الشواهد القرآنية الواردة في هذا الباب، لأنّها سبق أن وردت في كُتب السّابقين"*. فهي مألوفة ومعروفة في أوساط المثقفين فلا حاجة به إلى التِّكرار، لذا تركها من دون تقدير.

وعلى الرُّغم من تأثُّر الرُّماني الواضح بسابقيه وإفادته منهم إلاَّ أنَّه أضاف إليهم مجموعة من المفاهيم التي أسهمت إلى حدٍّ كبير في تأكيد مستوى ثقافته البلاغيّة، فهُو يُعَدُّ من أوائل البلاغيّين الذين اِلتمسوا العلّة للحذف، إذْ كان العلماء السابقون يرَوْن أنَّ الحذف لا يأتي إلاّ للإيجاز فقط، في حين أنَّ الرّماني وضّح السّبب بدقّة، فقال: "وإِنَّما صار

[1] الرّماني، النّكت في إعجاز القرآن، ص76.

*ذهب الباحث محمّد بركات حمدي أبو علي أنّ الرّوماني كان يُعد رسالته ليوجّهها إلى طبقة المثقفين من أبناء عصره (ظ: في إعجاز القرآن الكريم ص 58.

الحذف في مثل هذا أبلغ من الذّكْر، لأنَّ النّفس تذهب فيه كلّ مذْهب، ولَوْ ذُكر الجواب لقَصُر على الوجْه الذي تضمّنه البيان فحذف الجواب في قولك: لوْ رأيت عليّا بين الصّفّيْن. أبلغ من الذِّكْر لِمَا بيّناه".[1]

يرى الدّارسون أنّ الرّماني قد اعتمد على المقياس البلاغي كأساس للحُكم على نوعي الإيجاز فهُو يفاضل بينهما اعتمادًا على درجة وُضوح المعنى في الإفهام، فالإيجاز بالقصْر وإنْ كانت منزلته دون منزلة الإيجاز بالحذف إلاّ أنَّه أكثر غموضًا منه، "للحاجة إلى العِلْم بالمواضع التي يصلُح فيها من المواضع التي يصلح"[2] فلا توجد قرينة دالّة على حقيقة اللّفظ قبل إيجازه واختصاره ومِنْ هنا جاء غُموضه.

وقد قسّم الرّماني الإيجاز إلى قسمين آخرين اعتمادًا على أسس مقصودة، وجاءت حسب الباحثين كالتالي:

''**–التقسيم الأوّل**'': –**إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة**: وهذا اعتمادًا على علاقة اللفظ بالقرينة الدالّة عليه، واللفظ الموجز فيه بكلام سابق له (القرينة اللفظية).

–التقسيم الثاني: –**إحضار المعنى بأقلِّ ما يُمكن من العبارة**؛ وهذا يكون منقطعًا عن الكلام السابق له، ولا يمكن الوصول إليه بقرينة لفظية دالة لعدم توافرها، لذلك وجب أن تكون قرينة معنويّة، وقد جاء هذا التقسيم اعتمادًا على اللفظ الموجز بمعناه أي غرضه والهدف منه كقوله: "تحرّك حركة سريعة، في موضع أسرع"، لجأ إلى المعنى الأقرب (تحرّك حركة سريعة) لأنّ الكلام موجز دال على معناه. على عكس قولنا (تحرّك حركة أسرع)، فهي تبقى مبهمة غير مفهومة بحاجة إلى إيضاح، فكان اختيار المعنى الأقرب إيجازًا[3].

ونشير إلى أنَّ الرُّماني لَمْ يتوسَّع في الحديث عن "الإطناب" –فيما يخص علم المعاني–مثلما توسَّع في الحديث عن مقابلة "الإيجار" فما جاء به من تقسيمات مجرّدة هي لمحة موجزة عن "التكرار"، مشيرا إلى أنَّ: "التكرار الذي يكون

[1] الرّوماني، النّكت، ص76.

[2] د.هناء عبد الرّضا رحيم الرّبيعي، الجهود البلاغية لعليّ بن عيسى الرّوماني في رسالته النكت، مجلة أبحاث البصرة، المجلد 34، العدد الأوّل، 2010، ص08.

[3] د.هناء عبد الرّضا رحيم الرّبيعي ، المصدر السّابق،ص 8، 9.

غيره أبلغ منه يعدُّ مقصّرا في باب البلاغة"[1]، ويضاف على هذا أنَّ الرُّماني لَمْ يُشِرْ إلى أنَّ التِّكرار قسم من أقسام "الإطناب". لكنه ذكره مقابلا للإيجاز.

ومنه فإنّ الإيجاز والإطناب من الأمور النسبيّة التي لا يُمكن ضبطها بمقاييس ثابتة، وإنّما يَعُود الأمر فيها إلى طبيعة المعاني المعبّر عنها وإلى المقامات والأحوال التي يُسَاق فيها الكلام.

ب- جهوده في علم البيان:

-مفهوم البيان: جاء في اللّسان (بَيَنَ): "البيان: ما بُيِّن به الشّيء من الدّلالة وغيرها، وبان الشيء بيانًا، اتّضح، فهو بيّن ... والبيان: الفصاحة، واللّسن، وكلام بيّن: فصيح، والبيان الإفصاح مع ذكاء"[2].

فالبيان: الإفصاح والوضوح والقُدرة على التصرُّف في الكلام في وُجوه شتّى وهو لا يكتفي بإظهار المعنى المباشر بل يطلب من المتذوّق أن يكتشف بذكائه معنى المعنى.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: [الرَّحْمَنْ، علَّمَ القُرْآنْ، خَلَقَ الإنْسَانَ، علَّمَهُ البَيَانْ] الرحمن: 1-4. ومعنى البيان هنا: الفصاحة والوُضوح.

اصطلاحًا: عرّف الرّماني البيان بأنّه: "الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك".[3] وقسّم ذلك إلى أربعة أقسام:

- كلام، وحال، إشارة، علامة.
- ثمّ قسّم الكلام إلى نوعين:
  - كلام يظهر به تمييز الشيء من غيره فهو بيان.

[1] المصدر نفسه، ص79.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مطبعة دار المعارف بمصر، الجزء 13، ص69.

[3] الرّماني، المصدر السّابق، ص106.

- وكلام لا يظهر به تمييز الشيء فليس بيان لأنّه لا يُفْهَمُ معناه.

ثُمَّ إنَّ البيان إمّا أنْ يكون باسم أو صفة أو يكون بالتأليف، من غير اسم للمعنى أو صفة، كقولك: غُلام زيْد.

ولقد أقرّ الرُّماني على أنَّ البيان القرآني يأتي على مقدار الحاجة فلا يخْرُج عن مقتضى الحال بعكس بيان الكلام الذي يخرج في بعض الأحيان عن هذا الشرط.

وسنلمح وظيفة البيان حسب الرّماني في ظلال التشبيه والاستعارة خاصة.

1) التشبيه:

عرّف الرّماني التشبيه بقوله: "هو العقد على أنَّ أحد الشيئيْن يَسُدُّ مَسَدَّ الآخر في حسٍّ أو عقلٍ"[1]. وقد قسّم الرّماني التشبيه إلى:

– **الحسّي**: كمَاءَيْنِ وذَهَبَيْن يَقُومُ أحدهما مُقام الآخر.

– **العقلي**" نحو تشبيه قوة عُمْرو. فالقوّة لا تشاهد، ولكنّها تُدرك. سادة مَسَدَّ أخرى. وكذلك التشبيه عنده نوعان:

1–تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما: كتشبيه الجوهر بالجوهر.

2–تشبيه شيئين مختلفين بمعنى يجمعهما: وهذا المعنى هو مَا سُمِّيَ فيما بعد بوجه الشّبه؛ كتشبيه الشدّة بالموت، والبيان بالسِّحر الحلال، وهذا النّوع هو الذي يتفاضل فيه القائلون، وتظهر فيه بلاغة البلغاء، فهو يُكسبُ الكلام بيانًا وبلاغة.

ترجع بلاغةُ التشبيه في رأيْ الرّماني إلى ما يُؤدي إليه البيان، ويقع ذلك على وجوه أربع منها:[2]

[1] المصدر السّابق، ص80.

[2] هناء القرشي، إعجاز القرآن، ص 31، 32.

* يُنظر د.هناء عبد الرّضا رحيم، الرّبيعي، الجهود البلاغية لعلي بن عيسى الرّوماني في رسالته النكت، ص11.

1-**إخراج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه الحاسة** كقوله تعالى: "والذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الضَمْآنُ ماءً حتَّى إذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدهُ شَيْئًا" النّور/39، فقد اجتمعا في بطلان المتوهّم مع شدّة الحاجة.

2- **إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة،** ذلك كقوله تعالى: "وإذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلّة" الاعراف/171، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع.

3-إخراج مَا لَمْ يُعْلَم بالبديهة إلى مَا يُعلَم بالبديهة [إخراجُ الخفيُّ للجليّ]: كقوله تعالى: [مثلُ الذينَ حمَلُوا التّوْراة ثمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَار يَحْمِلُ أَسْفَارًا] الجمعة/05، وقد اجتمعا هنا في الجهل بما حَمَلا. وفي ذلك عيب لطريقة من ضيَّعَ العِلْم بالاتكال على حفظ الرّواية من غير دراية.

4-إخراجُ مَا لاَ قوّة لَهُ في الصّفة إلى ما لَهُ قوّة فيها: كقوله تعالى: [وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلاَم]. الرحمن/24، فهذا تشبيه قد اجتمعا في العِظَم إلاّ أنَّ الجبال أعظم، وفي ذلك عبرة لمن يتدبّر في قدرة الله سبحانه.

أكّد بعض الدّارسين على أنّ الرّوماني في رسالته قد اشترط لعقد التشبيه بين الطرفين توافر أداة التشبيه "الكاف" فهي أساس في عملية الربط، وبدونها لا ينعقد أي تشبيه، فالكاف عقدت المشبّه بالمشبّه به*، ولأنَّ الرُّماني يؤسّس لهذا الفن فقدْ غضّ البصر عمّا وقع خارج هذا الشّرط، وقدّم نموذجًا من قوله تعالى في سورة الرّحمن/37: [فإذا انشقّتِ السّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَان] قال معلّقًا: فهذا تشبيه قدْ أَخْرَج مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ عادة إلَى مَا قَدْ جَرَت به، وقَدْ اجتمعا في الحُمرة وفي لين الجواهر السَّيَّالة"[1] وهنا وإن ألمح إلى وجه الشبه (الحمرة) إلاَّ أنَّهُ عمَّمَهُ على المشبَّه (اشتقاق السَّماء) والمشبه به (الدّهان).

[1] الرّماني، النّكت، ص43

*يُنظر: هناء عبد الرّضا رحيم الرّبيعي، الجهود البلاغية لعليّ بن عيسى الرّوماني في رسالته، ص11.

ونجدُ في الآية وُجودُ تشبيهين:

- **الأوّل**: تشبيه اشتقاق السّماء بالوردة، بجامع اللّون.
- الثاني: تشبيه اشتقاق السّماء بالدّهان بجامع اللّيونة والسّيولة.

وقد اختلف وجه الشبه في كلّ تشبيه تبعًا لاختلاف المشبّه به، هذا الأمر لم يُعرْه الرّماني أيّ اهتمام وغضَّ الطّرف عن التشبيه الأوّل لعدم ورود أداة التشبيه (الكاف) فيه، واعترف بالتشبيه الثاني لورودها فيه.

وكذلك قد اعتنى الرّماني في رسالته بإظهار "وجه الشّبه" في نماذج التشبيه التّمثيلي نحو: قوله تعالى: "في سورة يُونس، 34: [إِنَّمَا مثل الحَيَاة الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرض]. يقول الرُّماني: "هذا بيان قَد أخرج مَا لَمْ تجر به عادة إلى ما قَدْ جَرَتْ به وقَدْ اجتمع والمشبّه به في الزينة والبهية، ثمّ الهلاك بعده وفي ذلك عبرة وموعظة لمن اعتبر"[1]

وهذا يقودنا إلى أنّه قدْ جعل من شروط عقد التشبيه وُجود أداة التشبيه ووجه الشبه مع طرفيْ التشبيه: المشبه والمشبه به.

- **بلاغة التشبيه:**

أيّد بعض الدّارسين والبلاغيين خاصّة فكرة أنَّ بلاغة التشبيه تظهر من خلال النظم أو حُسن التأليف* والذي عدّه الرّوماني الرّابط بين التشبيه وأجزاء الكلام الأخرى، ويقصد ببلاغة التشبيه أنّ التشبيه الحسن الذي تتوفر فيه الشروط التي ذكرها سابقًا، وقد سَاقَ لنَا في رِسَالته "النّكت" العديد من الشّواهد القرآنية للتشبيه نذكر منها قوله تعالى: [فمثَلُهُ كمثل الكَلْبِ إنْ تحْمِلْ عَلَيْه يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ] الأعراف 176. حيث قال الرّماني: "هنا بيان قد أخرج ما لا تقع

[1] المصدر نفسه، ص49

*يُنظر: هناء عبد الرّضا رحيم الرّبيعي، الجهود البلاغية لعليّ بن عيسى الرّوماني في رسالته، ص12.

عليه الحاسّة إلى ما تقع، وقَدْ اجتمعا في ترْك الطّاعة على وجه من وجوه التدبير، فالكلبُ لا يُطيعك في ترْك اللّهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يُطيع بالإيمان على رفق ولا عُنْف].[1]

وبتقديرنا فإنّ دراسة الرّماني لأسلوب التشبيه كانت إبرازًا لأثره في المعاني مستشهدًا بأدلّة قرآنية، ممَّا جعل جُهْده يمثِّل أيضًا خطوة واسعة على طريق البحث البلاغي.

2) الاستعارة:

اتّضح مفهوم الاستعارة عند الجرجاني بقوله "الاستعارة أن تريد تشبيه شيء بشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتُعيرُه المشبه وتجريه عليه"[2] وجاء من بعده السّكاكي وحدّد مفهوم أدق للاستعارة بقوله "الاستعارة أن نذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[3]. وأركانُها ثلاثة:

1- المستعار وهو اللفظ المستخدم في غير ما وضع لَهُ.

2- المستعار منه، وهو المعنى الأصلي.

3- المستعار له: وهو المعنى الذي نُقِلَ اللفظ إليه.

وقد اشترط الرّماني في حسْن الاسْتعارة: "أنْ تُؤدّي إلى بيان لاَ تُؤدّيه الحقيقة، فَلَوْ لَمْ تُحَقِّق الاستعارة ذلك لكانت الحقيقة أولى من الاستعارة"[4].

[1] الرّماني، النّكت، ص82.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة وزارة المعارف، ج1، اسطنبول، 1954، ص123.

[3] السّكاكي، مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1317، ص196.

[4] الرّوماني، النّكت، ص86.

- **بلاغة الاستعارة:**

أوضح الرّماني الدّاعي البلاغي لاستعمال الاستعارة وساقَ فيضًا من الشواهد القُرآنية لهذا الأسلوب البليغ. نحو: قوله تعالى: [فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ] الحجر/94؛ فرق جمعهم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد فيرجع الصدع على هذا إلى صدع جماعة الطفار، ويقول الرّماني:

"حقيقِقَتُهُ، بلِّغْ مَا تُؤْمَرْ به والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأنَّ الصّدع بالأمر لاَبدَّ لَهُ من تأثير كتأثير الزُّجاجة والتبليغ قَد يصْعب حتى لا يكون لَهُ تأثير، والجامع بينهما: الإيصال إلاّ أنَّ الصَّدْع أبلغ"[1]

ومنها قوله تعالى: [بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيدْمغُه] سورة الأنبياء/18 أي نرمي بالحق على الباطل

فالقذف والدّمغ مستعاران، وهما أبلغ من الحقيقة التي هي كالتالي: بلْ نُوردُ الحقّ على الباطل فيذهبه، وإنّما كانت الاستعارة أبلغ لأنَّ القذف دليلا على القهر، لأنَّك إذا قُلْتَ: قذف به إليه، فإنّما معناه: ألقاه إليه على جهة الشك والارتياب. "يدمغه" أبلغ من "يذهبه" لما في "يدمغه" من التأثير فيه، فهو أظهر وأعلى في التأثير.

تنبّهنا إلى أنّ الرّماني يفرّق بين التشبيه والاستعارة بأكثر من وجه، لكن ابن سنان الخفاجي اعترض عليه في اعتبار الفرق بين التشبيه والاستعارة إنما يكون بالأداة فقط، يقول ابن سنان: "أنّ الرّماني اعتبر التشبيه في الكلام بأداة التشبيه...وليس يقع الفرق عندي بينهما بأداة التشبيه فقط"[2].

لكن قولُه هذا واعتراضه لا وجه لَهُ لأنَّ الرّماني لم يقتصر في تفريقه بينهما على الأداة فقط.

وقَدْ حلّل الرُّماني الاستعارة في قوْله تعالى: [وآيَةٌ لَهُم اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَار فإذَا هُمْ مُظْلِمُون] يس/37. فقال:

[1] المصدر نفسه، ص86.

[2] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص111.

[نسلَخُ مُسْتَعَار، وحقيقتُه يخْرُج منه النّهار والاستعارة أبلغ لأنَّ السّلخ إخراج الشيء من لابسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به فكذلك قياس الليل][1]، لأنّه يخرج من النّهار خُروج المتلبّس بالشيء غير المفصول عنه، فأفاد (السّلخ) هذه الدّلالة من التدرّج والبطء في الخروج.

وقد تنبّهنا في أثناء بحثنا عن الاستعارة عند الرّوماني إلى حقيقة مهمة وهي أنَّ "النّقل" في الاستعارة القرآنية يبدأ من المعنويّ العقليّ وينتهي إلى الحسيّ العينيّ الذي يعرض المعنويّ من خلاله؛ أي أنَّ الاستعارات القرآنية تتناول معنى أصليًّا مجرّدًا فتُقَدّمُهُ تقديمًا محسوسًا ليُصبح أشَدَّ تَمكُّنًا في الصِّفات الحسيّة.

ومن هُنا ظهرت لنا بلاغة الاستعارة تُقاس من خلال قُدْرتها على تصوير المعنى.

من النّماذج المقدّمة على هذا قوله تعالى: "وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العذاب الأَكْبَر" السّجدة/21. إذْ ركّز على الإحساس الذّوقي: ويقول الرّوماني: "وحقيقته: لنُعذِّبَنَّهُمْ، والاستعارة أبلغ، لأنّ إحساس الذّائق أقوى لأنّه طَالَب لإدراك مَا يذوقه"[2]

أكّد الباحثون أنّ شمولية مصطلح الاستعارة عند الرّماني تجاوزت حدودها لتشمل نماذج من المجاز والكناية، فمثلاً في قوْله تعالى: [لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ الذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ]. التوبة/110، حيث نظر الرّماني إلى المجاز في كلمة رِيبة" على أنَّهُ استعارة فقال: [وأصْلُ البُنيان إنّما هو الحيطان وما أشبهها اعتقادهم الذي عملوا عليه، والاستعارةُ أبلغُ لما فيه من البيان بما يُحسُّ ويُتَصَوَّرُ...][3]، وقد أوردت كذلك الباحثة هناء عبد الراضي بعضًا من أمثلة الكناية في الاستعارة، مثل قوله تعالى: [وَلَمَّا سُقِط في أيْديهمْ] الأعراف 149، فعلّق الرّماني: [هذا مستعار، وحقيقته: نَدموا لما رأوا من أسباب الندم إلاّ أنّ الاستعارة أبلغ لما فيها من إحالة على الإحساس لما يُوجب النَّدم بما سقط في اليد..][4].

[1] الرّوماني، النّكت، ص89.

[2] الرّوماني، المصدر السابق، ص79.

[3] هناء عبد الرضا، الجهود البلاغية لعلي بن عيسى، ص15.

[4] المصدر نفسه، ص16.

وجديرٌ بالذّكر أنَّ: الخلط بين الاستعارة والمجاز والكناية لا يعدُّ عيبًا كبيرًا عند الرّماني ومَنْ عَاصَرُوه؛ لأنَّ المصطلحات في تلك الفترة لم تستقر بعدُ، فكان من الطبيعي أنْ نجد عنده تداخُلاً بين هذه الفنون.

ويبقى الهدف من اهتمام الرّماني بالبيان هو الوصول إلى توضيح البيان القرآني، لأنّه كلام الله عزَّ وجل والوقوف عنده لتحديد أهمّ ما ميزاته المتمثلة في:

- أنّ البيان القُرآني يمثل أعلى درجات البيان، وذلك من خلال مَا سَاقَه الرُّوماني في كتابه من شواهد قُرآنية.
- حُسْن البيان يَأْتي من نظْم العبارات مع بعضها ليزداد حُسْنها.
- الأثر المترتّب على حُسْن النّظم بمجمله أثر نفسي يتعلّق بالذّوْق.
- وأخيرًا يُقرُّ بأنّ القرآن كلّه في نهايته حُسن البيان.

ج- جهوده في علم البديع:

لم يرد مصطلح البديع ولا مفهومه في رسالته إلاّ أنّه بحث في بعض مفرداته وأدخلها ضمن تقسيمات البلاغة القرآنية المعجزة، مثل: الفواصل، التجانس، المبالغة، التضمين، وتوسع في شرح معانيها وبيان شواهدها.

مفهومه:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "بدع": بدع الشيء يُبدعه بدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه وبدع الرّكية، استنبطها وأحدثها، وزَكيّ بديع: حديثة الحفر، والبديع والبدعُ: الشيء الذي يكون أولاً.[1]

جاء في القرآن الكريم: "قل ما كنت بِدْعًا من الرُّسُل"[2] وقوله أيضا: بديع السموات والأرض"[3]

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2008، ص6،8.

[2] سورة الأحقاف، الآية: 9.

[3] سورة البقرة، الآية 117.

اصطلاحا: يُعرف علم البديع بأنه "علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد.[1]

وبتعريف آخر: هو العلم الذي يوشي به الكلام بأوجه الحسن، وقد يكون ذلك الحسن من جهة اللفظ وقد يكون من جهة المعنى.[2]

موضوعه: ينحصر موضوع علم البديع في:[3]

معرفة الطرق التي يستخدمها الشاعر أو الناثر للتنسيق بين أجزاء البيت، أو الجملة أو الفقرة وإنّ هذا التنسيق يقوم على مبدأين: مبدأ التشابه، "السجع والجناس"، مبدأ التباين "الطباق والمقابلة".

لقد استحسن الرّماني رأي أبي الحسن الأشعري في القول بنظام الفاصلة والابتعاد بها عن السجع والقافية في الشعر وقصرها على نظم القرآن.

يتلخص علم البديع عند الرمّاني في:

1-**التّلاؤم**: وَرَد لفظ التلاؤم عند الرُّماني: "تعديل الحُروف في التّأليف، وهو نقيض التنافُر".[4] فالتأليف على ثلاثة اوجه:

- **متنافر**[5]: ''فهو الكلام الذي يستثقله اللسان وتمجه الآذان''، كقول الشاعر: وقبْرُ حرْب بمكان قفر...ولَيْس قُرْبَ حَرْبٍ قَبْر.

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار العلم والمعرفة، طبعة جديدة، 2017،م، ص367.

[2] عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، ص 64، 65.

[3] عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط2، 2011م، ص215.

[4] هناء القرشي، إعجاز القرآن، ص33.

[5] حفان مليكة، ''بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني''، ص 65.

- **التأليف المتلائم في الطبقة الوُسطى:** كقول الشّاعر:

رَمَتْنِي وسَتَرَ اللهُ بَيْنِي وبَيْنَهَا...عشِيّة آرَم الكناس رَميمُ

رَمِيمُ التي قَالَتْ لجيرَانِ بيْتها ... ضَمَنَتْ لَكُمْ أَلاَ يَزَال يَهِيمُ

- **المتلائم في الطبقة العُليا هو القرآن كُلّه.**

أرجع سبب التنافر إلى ما ذكره الخليل من البُعد الشديد والقرب الشديد في مخارج الحروف في التأليف وسبب التلاؤم إلى: "تعديل الحُرُوف في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤمًا"[1]. أمّا فائدته فتظهر في بهاء وحسن الكلام في السّمع وسهولته في اللفظ وتقبّل المعنى في النّفس.

ومنه إن تلاؤم الحروف عند الرماني شرط من شروط البلاغة.

2-الفواصل: أطلق الرّماني لفظ الفواصل على ما يسمّى بالسّجع وعرّفها بأنّها: "حُروفٌ متشاكلة في المقاطع تُوجب حُسْن إفهام المعنى".[2]

أمّا غرضها البلاغي: هو حُسن إفهام المعنى ولذلك عدَّ الفاصلة بلاغة والسّجع عيْب لأنّ الفواصل تابعة للمعنى وأمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها.

قسّم الرُّماني فواصل القرآن إلى:

-حروف متجانسة كقوله تعالى: "[طَهَ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى، إلاَّ تذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى]، وكقوله "والطور، وكتاب مسطور" الطور 1-3.

[1] المرجع نفسه، ص34.
[2] المرجع نفسه، ص34.

-حروف متقاربة: كحرف الميم والنّون في قوله تعالى: [الرّحمن الرّحيم، مالك يوم الدين].

وفائدتها عند الرُّماني: دلالتها على المقاطع وتحسينها للكلام. "ق والقرآن المجيد" ق/1

إذن، لقد عدّ الرماني الفواصل وجها من وجوه بلاغة القرآن الكريم وإعجازه لما تظيفه على أسلوبه من بلاغة وحسن بيان، وأنه يفرق بين السجع والفاصلة بأن الفاصلة بلاغة وأن السجع عيب.

3-**التجانس**: عرّف الرُّماني التجانس بأنّه: "بيان أنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة، ثم قسّمه قسمين: تجانس مزاوجة، وتجانس مناسبة.

- **تجانس المزاوجة**: يقع في الجزاء، كقوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" أي جازوه بما يستحق عن طريق العدل.

ومن الشواهد التي ذكرها الرّماني قوله تعالى: "ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين" أي: جازاهم على مكرهم.

- **تجانس المناسبة**: فهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد فمن ذلك قوله تعالى: "ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم" فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيها واحد.[1]

ومنه فأن التجانس هو الباب السادس من أبواب البلاغة التي يتحقق به إعجاز القرآن

4-التصريف:

قسّم الرُّماني التصريف إلى قسمين:

[1] هناء القرشي، إعجاز القرآن، ص36.

1- تصريف المعنى في المعاني: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة كالملك مثلا فإنه يصرف في معنى الملك، وملك، ذي الملكوت والمليك، وفي المعنى: التمليك والتمالك، والأملك والتملك، والمملوك.[1]

2- تصريف المعنى في الدلالة المختلفة: يُعْنَى به عرض المعنى الواحد في معارض متعدّدة، وقد جاء كثيرا في القرآن، وخاصة في القصص "قصة موسى" والحكمة في ذلك من وجوه متعددة، منها التصريف في البلاغة من غير نقصان على أعلى مرتبة، تمكين العبرة بالموعظة منها حل الشبهة في المعجزة.

ولذلك عدّ الرماني هذا النوع من التصريف وجها من وجوه الإعجاز البلاغي لأن تكرار القصة الواحدة بعبارات مختلفة يدل على قدرة المكرر له على التصرف في أنواع البلاغة من غير نقصان، ويدل أيضا على معنى تلك القصة لتمكين العبرة والموعظة

5-التضمين: لم يقدم الرماني شيء حوله سوى التعريف، تضمن الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر لها المعنى باسم أو صفة هي عبارة عنه.

6- المبالغة: عند الرُّماني هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة.

والمبالغة عن وجوه وضروب:[2]

الضرب الأول: التعبير بصيغة تدل على المبالغة، ولذلك أبنية كثيرة منها: -فعلان وفعال وفعول ومفعل ومفعال وفعلان، كرحمن: عدل عن "راحم" للمبالغة، أي للدلالة على كبر المعنى وهو الرحمة.

[1] المرجع نفسه، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص38.

الضرب الثاني: باستخدام الصيغة العامة في موضع الخاصّة كقوله تعالى "خالق كلّ شيء" فهذه الصيغة العامة استوعبت كل مخلوق.

الضرب الثالث: إخراج الكلام مخرج الاخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة كقول القائل جاء الملك إذْ جاء جيش عظيم منه.

الضرب الرابع: إخراج الممكن المتع للمبالغة، كقوله تعالى "ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"

الضرب الخامس: إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج، قوله تعالى: "قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين".

الضرب السادس: حذف الأجوبة للمبالغة وتكثير المعنى كقوله تعالى: "ولو يرى الذين ظلموا إذْ يرون العذاب".

ثمّ قسّم البلاغة إلى ثلاثة طبقات وقال: "إن ما كان في أعلاها معجز، وهو بلاغة القرآن". وَعرف البلاغة بأنّها "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" وأعلى طبقة في الحسن بلاغة القرآن.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي يُعد محاولة لمعرفة جهود الرّماني في الدرس البلاغي في كتاب النكت في إعجاز القرآن توصلنا إلى عدة نتائج:

1- يرجع الرّماني البلاغة إلى عشرة أقسام منها: الإيجاز، التشبيه والاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة وحسن البيان مستدلا بالشواهد القرآنيةفي كل قسم منها.

2- تعتبر رسالته رغم صغر حجمها: تقعيدًا وتأصيلا لعلم البلاغة.

3- أنّ الرّماني من العلماء الذين اهتموا ببيان إعجاز القرآن من خلال بلاغته وقوة نظمه وتلاؤم حروفه.

4- من مفهوم البلاغة عنده أنها تُوصِلُ المعنى وتمكينه في قلوب المتلقين من طريق إلباسه الصورة الجميلة من اللفظ الحسن.

5- ظهور التصنيف، حيث رُتبت البلاغة على ثلاثة علوم مرتبة بحسب صياغة الجملة وسبك المعنى وجودة الأداء هي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع.

6- وضع حدا للبلاغة والفصاحة في ما عدت البلاغة أشمل من الفصاحة، فالبلاغة تتناول الكلام الفصيح، أما الفصاحة تتناول الألفاظ المركبة فقط.

7- لم يورد الرّماني مصطلح المعاني، ولكنه ركّز على ضرورة ربط البلاغة بالمعنى وتحقيقها للإفهام.

8- رغم تأثر الرّماني بجهود سابقيه إلّا أنه أضاف العديد من المفاهيم التي ساهمت في تأكيد بعده البلاغي.

9- هدف الرّماني من تحديده لمفهوم البيان، الوصول إلى توضيح البيان القرآني.

10- يتمثل جهده في علم البيان في أنه جعل بلاغة التشبيه من خلال النظم وأنّ الاستعارة قائمة على التشبيه.

11- شمولية مصطلح الاستعارة عند الرماني تجاوزت حدودها إلى المجاز والكناية.

12- أدخل الرماني مصطلح البديع ضمن تقسيمات البلاغة القرآنية دون التطرق إلى التفصيل فيه.

13- حاول الرّماني في وضع حدود فاصلة بين الفواصل والأسجاع.

14- الفواصل القرآنية تابعة للمعنى، أي أنها خادمة للمعنى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم –رواية ورش عن نافع–

المصادر:

1- أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني، كتاب النّكت في إعجاز القرآن، مكتبة الجامعة، الملية، دهلى، سنة 1934.

2- ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدّرويش، ط1، دار يعرب، ج1، سنة 1425هـ، 2004م.

3- ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، تح: علي فودة، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1350هـ-1932م.

4- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: ريثر، مطبعة وزارة المعارف، ج1، اسطنبول، 1954.

5- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ، 1987م.

المراجع:

6- إبراهيم سليمان سويلم، أبو الحسن علي بن عيسى وآراءه الكلاميّة، قسم العقيدة والفلسفة، شعبة أصول الدين، كلية الدّراسات الإسلامية والعربية للبنات، بورسعيد، جامعة الأزهر، مصر.

7- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار العلم والمعرفة، طبعة جديدة، 2017م.

8- تمام حسان، الأصول (دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، عالم الكتب، القاهرة، 1420هـ-2000م.

9- حسن عبد الجليل يوسف، علم البيان بين القدماء والمحدثين، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، طر، مصر، 2006.

10- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ت ح: أحمد أمين وأحمد الزين، مؤسسة هنداوي، د ط، سنة 2017

11- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط2، 2011.

12- عبد الرحمان الاخضري، شرح جوهر المكنون، دار احياء الكتب العربية ص132

13- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، دط، 2004م،

14- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر.

15- علي الحازم ومصطفى امين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع للمدارس الثانوية، دار المعارف ص 20

16- علي الهاشمي، المنهل العذب في الدراسات الأدبية والإعراب والبلاغة والإعراب والعروض والقوافي، دار البشائر الإسلامية، سنة 2005.

17- القفطي، إنباه الرواة، ج 2، ت ح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، د ط، 1950.

18- السمعاني، الأنساب، الجزء الثاث، دار المعارف العثمانية، الهند، ط 1، 1926.

19- شفيع السّيد، البحث البلاغي عند العرب، '' تأصيل وتقييم ''، د ط.

20- محمد احمد قاسم ومي الدين ديب، علم البلاغة (البديع، البيان، المعاني) ط1، طرابلس، لبنان، 2003م.

21- محمد إسماعيل الزوبعي، البلاغة العربية، علم المعاني بين القدامى أسلوبية المحدثين.

22- إبن النديم، الفهرست، ت ح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 1997.

المقالات:

23- حفان مليكة، بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني.

24- هناء القرشي، إعجاز القرآن.

المعاجم والقواميس:

25- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،

26- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ج13، طبعة جديدة، 1119.

الرسائل الجامعية:

27- مشوار مصطفى، نجادي بوعمامة، الاتساق النّصي عند أبي الحسن علي بن عيسى الرّماني "رسالة النكت في إعجاز القرآن أنموذجًا"، جامعة تيارت، الجزائر، تاريخ 2021/03/01م.

28- هناء القرشي، إعجاز القرآن.

المجلاّت:

29- هناء عبد الرّضا، رحيم الرّبيعي، الجهود البلاغية لعلي بن عيسى الرّماني في رسالته النّكت، مجلة أبحاث البصرة، المجلد 34، العدد01، 2010م.

البحوث والمقرّرات:

30- محمد الأسعد، مقالة في اللغة الشعرية

31- ملخص محاضرات البلاغة العربية، De : elearn-univ-Oran1.dz

الدواوين

32- أبو الأسود الدؤلي، ت ح: محمد حسن آل يس، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1974.

33- شرح ديوان حسان، شرح البرقوقي.

34- عبد الرازق عبد الواحد، الأعمال الشعرية، المجلد الأول.

35- ديوان الفرزدق، شرحه علي فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1987.

36- ديوان المتنبي، شرح العبكري، دار بيروت، بيروت، د ط، 1983.

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة: ..... أ

مدخل..... 4

الجانب النظري

الفصل الأول: علم البلاغة وأقسامها

1-البلاغة في اللّغة والاصطلاح: 11

أ-البلاغة لغةً:..... 11

ب-البلاغة اصطلاحا: 11

2-أقسام البلاغة:..... 14

أولاً:علم المعاني 14

ثانيا: علم البيان 15

ثالثا: علم البديع..... 15

أ- الفصاحة في القواميس:..... 19

ب- الفصاحة اصطلاحًا:..... 20

الفصل الثاني: جهود الرماني في الدرس البلاغي ''كتاب النكت في الإعجاز القرآني أنموذجا''

1- وصف عام لكتاب النكت في إعجاز القرآن: 32

2-جهود الرّماني في الدرس البلاغي:..... 36

أ-جهوده في علم المعاني: 38

ب- جهوده في علم البيان:..... 42

ج- جهوده في علم البديع: 49
الخاتمة 55
قائمة المصادر والمراجع 58
قائمة المصادر والمراجع 59
فهرس الموضوعات 63
الملخص: 65

الملخص:

لعلّ من أبرز البلاغيين واللغويين الذين أسسوا للدرس الاعجازي أبو الحسن بن عيسى الرّماني، وذلك من خلال كتابة "النكت في إعجاز القرآن، والذي عُدَّ من أمّهات الكتب في الإعجاز على من أنّ رسالته وجيزة، لم تتعدّى ثمان وثلاثين صفحة.

تظهر أوجه الإعجاز القرآن الكريم للرُّماني في سبعة أوجه هي:

- ترك المعارضة مع الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة الصرفة، البلاغة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة نقص العادة، قياسه بكل معجزة.
- ولقد قسّم البلاغة إلى عشرة أقسام: الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان.